جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

لغة وأدب عربي
دراسات أدبية
أدب حديث ومعاصر

رقم: ح2018/56/10

إعداد الطالب:

موسي حسناء

يوم: 25/06/2018

المدينة في رواية " تماسخت "
لـ: الحبيب السايح

لجنة المناقشة:

عبد الرحمن تبرماسين	أ. د.	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيسا
هنية جوادي	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مقررا
فاطمة الزهراء بايزيد	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية : 2017 - 2018

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

بداية أشكر الله العلي القدير وأحمده على توفيقه لي في إتمام هذا العمل فيارب لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد بعد الرضا.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة الدكتوره " **جوادي هنية** " على قبولها مهمة الإشراف على هذا البحث وعلى توجيهاتها ونصائحها القيمة وصبرها علي في سبيل إخراج هذا العمل في أحسن صورة فلك أستاذتي عظيم الشكر والامتنان وحفظك الله وجعلك ذخرا ونورا للمؤسسة الجامعية.

كما لا يفوتني أن أشكر كل أساتذة قسم اللغة العربية جامعة بسكرة وأخِص بالذكر لجنة المناقشة الذين قبلوا قراءة هذه المذكرة ومناقشتها وتقويم أخطائها فلهم مني ألف تحية تقدير.

مقدمة

شهدت الرواية الجزائرية تطورًا ملحوظا واستطاعت أن تتبوأ مكانة هامة في الساحة الأدبية المحلية والعربية بعد تجاوز العقبات التي واجهتها، وأصدرت كمًّا هائلا من الأعمال الروائية ذات قيمة وجودة فنية وفكرية لا يمكن تجاهلها، نظرًا لما تطرحه من خصوصية جمالية وموضوعاتية باعتبارها الوسيلة الأنسب للتعبير عن مشكلات الإنسان المعاصر وهذا ما جعلها أكثر استقطابا وانفتاحا على العالم العربي والعالم بوجه عام.

وبالنسبة للرواية الجزائرية فقد اهتمت في بنائها بكافة العناصر الفنية التي تتأسس عليها كالزمن والشخصيات والأحداث، وكان المكان من بين أهم هذه العناصر التي نالت حظّها من اهتمام الكتّاب لأنه يحضر بشكل كبير يساعد على معرفة ما يريد الروائي توصيله إلى الناس، كما يمثل فضاءًا يستقطب العناصر الأخرى ويحافظ على تماسكها ووحدتها، فلا يمكن أن نتخيل عملا سرديا من غير مكان تتحرك فيه الشخصيات وتجري فيه الأحداث.

تتعدد الأماكن في العمل الروائي الواحد، ولكل نوع وظيفته ودلالته، إلا أن المتتبع لعنصر المكان في الرواية المعاصرة يلاحظ بروز فضاء المدينة بشكل واضح جدًا، لا يمكن إغفاله، فقد بدت مكانًا مركزيًا يضرب في رحابه العالم الروائي ومسرحًا تدور على خشبته مجريات الأحداث ووقائعها ومن هنا تولد اهتمامنا بدراسة هذا المكوّن السردي في رواية "تماسخت" للكاتب الجزائري "الحبيب السايح" فقد لعبت المدينة فيها دورًا بارزًا في تطور الأحداث وظلّت تحتضنها من بداية الرواية إلى نهايتها.

تم اختيار موضوع "المدينة" لأنها تحمل معانٍ كثيرة ورموزًا ودلالةٍ متنوعة وظّفها الروائي للتعبير عن الحالة النفسية والإجتماعية للشخصيات، لأن المدينة معروفة بكثرة مشاكلها وتعقد وتشابك علاقاتها وصعوبة العيش فيها. كما ساعدت الكاتب الجزائري على نقل الواقع المعيش وتصويره في قالب إبداعي جمالي بما تتوفر عليه من دلالات ورموز.

وبعد الاطلاع على رواية "**تماسخت**" ازداد انشغالنا بالموضوع، لأن المدينة في هذا النص الروائي تمثل نقطة مركزية وأساسية، ولم يقتصر الروائي على توظيف المدن الجزائرية فحسب بل تعداها إلى توظيف مدن خارجية ومحلية، شكلت منافٍ للشخصيات من هنا رغبنا أكثر في معرفة الدافع الذي جعل من الروائي ينتقل من مدينة إلى مدينة ومحاولة الكشف عن الأسرار والخفايا الجمالية التي تحملها. ومما سبقت الإشارة إليه تدور إشكالية البحث حول: **المدينة في رواية "تماسخت" لـ: الحبيب السايح**. وتتفرع عن هذه الإشكالية الكبرى جملة من التساؤلات أهمها: مالمقصود بالمدينة ؟ ما العلاقة التي ترتبط المدينة بالرواية ؟ وما موقف الكتّاب منها ؟ كيف وظّف الحبيب السايح فضاء المدينة ؟ وما أبعادها الدلالية والجمالية ؟.

اقتضت إشكالية البحث وتساؤلاته أن يُبنى على مقدمة وفصلين وخاتمة:

جاء الفصل الأول موسومًا بـ: جدلية المدينة والرواية، فقد تطرّقنا فيه إلى مفهوم المدينة لغة واصطلاحا، كما تناول تاريخ المدينة وعلاقتها بالرواية عند كل من الغرب والعرب. في حين جاء الفصل الثاني بعنوان: الفضاء المديني (الأبعاد والدلالات)، حيث تناولنا فيه تجليات الفضاء المدينة في الرواية وجمالياته من خلال التطرق إلى دراسة أهم المدن التي ذكرها الكاتب وما توحي إليه من مشاعر منبثقة من وجدان الكاتب مشحنة بالدلالات، وتأتي الخاتمة حصيلة لأهم النتائج التي توصلنا إليها من البحث.

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج البنيوي لاستنباط الخصائص الفنية والجمالية لفضاء المدينة، كما استعنا بمناهج أخرى كالمنهج السيميائي والتاريخي.

استنار البحث بجملة من المراجع والمصادر كان لها أهمية دعم مسيرته لعل من أبرزها: كتاب دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر لـ: (قادة عقاق)، وكذلك كتاب الرواية والعنف (دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة) لـ: (الشريف

حبيلة)، وكتاب المكان في الرواية العربية (الصورة والدلالة) لـ: (عبد الصمد زايد)، وكتاب المدينة العربية بين عولمتين لـ: (سالم المعوش)... وغيرها من المراجع التي ساعدتنا في انجاز البحث.

أما عن الصعوبات التي واجهتنا خلال انجازنا لهذا البحث، فتكمن في قلة وجود دراسات خاصة بالمدينة في الرواية، وأيضا ضيق الوقت الذي لم يسمح لنا بالتعمق أكثر في بعض مسائل البحث.

وأخيرا واعترافا بالجميل، وبصدق وامتنان أرفع آيات التقدير والعرفان إلى الأستاذة المحترمة " **جوادي هنية** " التي شرفتني بقبولها الإشراف على هذا الموضوع وعلى ما قدّمته لي من توجيهات ونصائح وعلى حسن رعايتها ومتابعتها للبحث في مختلف مراحله، وأرجو أن أكون قد ساهمت بهذا الجهد في النهوض بالرواية الجزائرية والتعريف بها. وأسأل الله التوفيق والسداد.

الفصل الأول

جدلية المدينة والرواية

أولا/ مفهوم المدينة

أ. لغة

ب. اصطلاحا

***عند الغرب**

***في الأدب العربي**

ثانيا/ علاقة الرواية بالمدينة

1. المدينة في الرواية الغربية

2. المدينة في الرواية العربية

3. المدينة في الرواية الجزائرية

يعد موضوع المكان عنصرًا جوهريًا ومكونًا مركزيًا في العمل الروائي، ومن أهم الدراسات السردية التي حظيت باهتمام النقاد والدارسين على حد السواء، لأن المكان بدوره يستقطب العناصر السردية الأخرى وتدور ضمن العمل الإبداعي.

ويعتبر المكان عنصرا فاعلا في البناء الروائي ويتخذ أشكالا تحتوي مضامين عديدة من خلال انعكاسه على عناصر العمل الروائي، ويعكس المكان الأحاسيس والعواطف (مفرحة أو محزنة / الخوف أو القلق...) التي تجول في خاطر الشخصيات[1].

يرتبط المكون المكاني بعناصر البنية السردية و«يشارك المكان في توليد معنى النص الروائي، فقد يكون النص الذي تعبر به الشخصية عن وجهة نظرها حيال موقف ما، فيتجاوز دوره كديكور للدلالة على قضايا فكرية ونفسية، واجتماعية واقتصادية وسياسية يلبسها بفعل الحركة التي تمارس داخله والشخصية التي تسكنه والزمن الذي يمر به، إنه واحد من أهم مكونات المضمون الروائي»[2].

وينقسم المكان إلى أماكن مفتوحة وأماكن مغلقة وفي بحثنا هذا حاولنا معالجة نمط معين يندرج ضمن الأماكن المفتوحة، ألا وهو" *المدينة أو الفضاء المديني*" للكشف عن خصوصية رؤية الروائيين وموقفهم منها، وقبل ذلك حرى بنا أن نتساءل ما مفهوم المدينة؟ وما أهميتها في الكتابة الروائية ؟.

غاية الإنسان دائما هي الحصول على العيش الهانئ والمكانة الراقية حيث «يسعى منذ أقدم الأزمنة، إلى إقامة المجتمع المدني، وسعيه هذا كان حثيثا نحو إقامة المدن

---

[1] ينظر ، محبوبة محمدي محمد آباي ، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، 2011م ، ص31.

[2] الشريف حبيلة ، الرواية والعنف "دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة ، عالم الكتب الحديث ، ط1 ، الأردن ، 2010م ، ص25.

وتشييدها والنهوض بها وبمجتمعاتها لكي يصل إلى حالة من التغيير في حياته نحو الأحسن»[1]، لهذا تشكلت المدينة وعندما اقتحم هذا المفهوم مجال الأدب فإنه ارتدى أزياء عديدة من المعاني وتلوّن بدلالات ورموز وأبعاد مختلفة يتجاوز بها الكاتب دلالات تاريخية وثقافية وفكرية ونفسية...وغيرها.

أولا / مفهوم المدينة:

أ- لغة:

لا تختلف المعاجم كثيرا في تعريفها للمصطح، فهي قريبة من بعضها البعض، فقد جاء، في **لسان العرب لابن منظور**:« مَدَنَ بالمكان: أقام فيه، فعل مُمات، ومنه المَدينة، وهي فَعِيلة، وتجمع على مَدَائن، بالهمز، ومُدْنٍ مُدُن بالتخفيف والتثقيل. والمَدِينة: الحِصْنُ يبنى في أُصطُمَّةِ الأرض، مشتق من ذلك. وكلُّ أرض يبنى بها حِصْنٌ في أُصطُمَّتِها فهي مدينة، والنسبة إليها مَدِينيّ، والجمع مَدائنُ ومُدُنٌ. والمدينة: اسم مدينة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم، التي شرّفها الله وصانها... ومَدَنَ الرجلُ إذا أتى المدينة»[2]. فالمدينة تعني مكان الإقامة.

وقد ورد أيضا لفظ مدينة في **معجم الوسيط** ف : «(مدَنَ) فُلاَنُ – مُدُونًا : أتَى المَدينة. (تَمدَّن): عَاشَ عيشة أَهل المُدن وأَخذ بأسباب الحضَارة. و(المَدَنِيَّة): الحضارةُ

---

[1] عبد الله حبيب التميمي ، تحولات المدينة في الشعر العراقي الحديث ، دار الرائي للدراسات والترجمة والنشر، ط 1، دمشق ، سورية ، 2010 ، ص17.

[2] ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر، مج13-14 ، طبعة جديدة محففة ، مادة (مدن) ، بيروت ، لبنان ، 2008، ص40.

واتساع العمران، (المَدِينَةُ): المصْرُ الجامع. (ج) مَدَائن، ومُدُنُ.»[1]. يقصد بالمدينة الموضع والحضارة واتساع العمران وهو مكان يجتمع فيه العديد من الناس، وهي ذات بنايات كبيرة وكثيرة والأشخاص الذين يأتون إليها يأخذون أساليب مختلفة في العيش فيها.

وجاء في **معجم تاج العروس** : «(مَدُنَ) بالمكان (أقام) به، قال الأزهريُّ : ولا أدْري ما صِحَّتُه، وهو(فِعْلٌ مُمَاتٌ، ومنه: المَدينَةُ). وهي فَعيلَة (للحصْن يُبْنَى في أَصْطُمَة الأرض،ج: مَدَائنُ) بالهمْز، (ومُدُنٌ، ومُدْنٌ)، بالتّثقيل والتّخفيف، وفيه قول آخر أنه مِفْعلة من دِنْتُ، أي: مَلَكْتُ (والمدينَةُ: الأمَّةُ)»[2]. وعليه فالمدينة هي المكان الذي يُقيم فيه الشخص مع الكثير من الناس، يشكّلون أمة.

وفي معجم **محيط المحيط** يقال:« تمدَّن الرّجل تخَلّق بأخْلاق أهل المُدُن، وانْتقل من حالةِ الخشونةِ والبربرية والجهل إلى حالة الظرف والأنس والمعرفة»[3]. بمعنى أن المَدِينَة تجعل من الشخصِ الذي أتى إليها وأَقام بها شخصًا متحضّرًا ومثقفًا عكسَ ما كان يعيشُه في القريةِ التي تتميّز بالجهلِ والبداوةِ، واكتسبَ عادات وأساليب وأخلاق أهل المدُن من خلالِ اختلاطِه واندماجِه بهم.

---

[1] معجم اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، ج 1، من أول الهمزة إلى آخر الظاد ، استانبول ، تركيا ،2004، ص 859 .

[2] محمد مرتضي الحسيني الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تح : عبد الكريم العزباوي ، دار النشر مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، ج 36 ، ط1، باب النون و الهاء ، الكويت ، 2001 م ، ص 157.

[3] بطرس البستاني ، محيط المحيط ، مكتبة لبنان ناشرون ، (د.ط) ، باب الميم ، بيروت ، لبنان ، 1987، ص 843.

ب- اصطلاحا :

تعني المدينة في الاصطلاح ذلك الحيز المكاني، أو الموقع الجغرافي الذي يعيش فيه الكثير من الناس يتفاعلون ويتنافسون ويتعاملون مع بعضهم البعض ويتشاركون في جميع الوظائف والأعمال التي تخص مدينتهم، فهي عبارة عن قرية كبيرة متحضّرة وراقية ذات اتساع عمراني، كما تخلق المدينة العديد من الصراعات الداخلية وهذا ما يميّزها عن القرية.

ولمصطلح المدينة تعريفات مختلفة ومتنوعة، يعني أن كل كاتب أو دارس ينظر إلى المدينة ويعرفها بحسب نظرته وموقفه وذوقه، سواء حبا أو بغضا، تقبلا أو نفورا اتصالا أو انفصالا[1].

***عند الغرب:**

لقد أسس الإغريق قديما مدينتهم من أجل تلبية حاجياتهم وأغراضهم الجسدية والنفسية ليكون التعامل والتواصل بينهم سهلا ويسيرا[2]، ومن أجل المحافظة على البقاء رغم جميع الأطوار التي مر بها، مستعينا بالعوامل الاقتصادية التي قامت أساسا على نوع من الصناعة أدت بدورها في ظهور مدينتهم الضخمة، فأخذو يخططون وينظمون أعمالهم متكيفون مع قوانين الطبيعة لتحقيق طموحاتهم وتطور حياتهم[3]، وعلى رأسهم

---

[1] ينظر، قادة عقاق ، دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، (د. ط) ، دمشق ، 2001م ، ص23.

[2] ينظر ، المرجع نفسه ، ص 23 - 24.

[3] ينظر ، مختار علي أبو غالي ، المدينة في الشعر العربي المعاصر ، عالم المعرفة ، (د.ط) ، الكويت ، 1995 ، ص 5 - 25.

أفلاطون الذي يقرر« أن الاجتماع ظاهرة طبيعيّة ناشئة من تعدد حاجات الفرد وعجزه عن قضائها بمفرده. ولذلك تألف الناس أولا جماعات صغيرة تعاونت على توفير المأكل

والمسكن والملبس، ثم تزايد العدد حتى تكونت المدينة وتعقدت الحياة نسبيا وكثرت المطالب، فلم تستطع أن تكف نفسها بنفسها، فلجأت إلى التجارة والفلاحة، محاولة توفير الضروري فقط مع المحافظة على قيمتها السامية من قناعة وسماحة، وهذه المدينة هي المدينة البشرية الأولى مدينة الفطرة، مثال البراءة السعيدة، ليس لها من حاجات إلّا الضروري»[1].

يرى **أفلاطون** أن المدينة ظاهرة طبيعية يُلجأ إليها لتوفير حاجيات الفرد فهي عبارة عن جماعة صغيرة ثم تزايدت في العدد، فحدث تعقد بسبب كثرة المطالب، مارس أهلها التجارة والفلاحة لتوفير حاجياتهم الضرورية، وبتعقد الحياة ابتعدت عن طبيعتها واكتشفت أشياء جديدة كالفن والتّرف وازدادت حاجة أهلها، فاكتشفوا صناعات جديدة لتوفير حاجياتهم، وكان بذلك انقضاء عصر الفطرة والتلقائية، وازداد طمع البشر، وساد الظلم وانعدمت العدالة. إذن فالمدينة الأولى عنده هي مدينة الفطرة والنّقاء، أمّا المدينة الثانية هي مدينة متحضرة ذات طابع عنيف[2].

أيضا ليس بمقدور إنسان واحد أن يكون نجارا وفلاحا ونساجا وبناءا وطبيبا ولو كان حتى أنه يستحسنها كلها، فإنه لا يكفي إقامتها وحده.

ويتعامل أرسطو**(Aristo)** « مع المدينة كمفهوم من وجهة واقعية وعضوية فمن الناحية الواقعية تعتبر المدينة مجرد صورة أكثر تنظيما للعائلة وبالتالي المدينة حالة

---

[1] قادة عقاق ، دلالة المدينة في الخطاب الشعري ، ص 24-25.

[2] ينظر ، المرجع نفسه ، ص 25 .

طبيعية لكون الطبيعة كما قال أرسطو لها غايات»[1]، المدينة هي حالة طبيعية منتظمة شكلا وهي مأوى الإنسان ورحمه الأول الذي احتضنته.

كما نجد المدينة تطلق على المكان وهذا ما نجده في تعريف **يوري لوتمان(Youri Lotman)** للمدينة هي« مجموعة الأشياء المتجانسة من الظواهر والحالات والوظائف والأشياء، والصور، والدلالات المتغيّرة، التي تقوم بينهما علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية مثل: الامتداد والمسافة»[2]. أي يعتبر المدينة ترجمة لتصرفات وأفعال الأفراد وسط حيّز مكاني، وأنها ظاهرة إبداعية للإنسان ليس له علاقة بالحدود والمسافات.

كما يُعتبر **(ماكس فيبر)** من الذين حاولوا إيجاد تعريف للمدينة حيث يقول:« إنها تتكون من مجموعة أو أكثر من المساكن المتفرقة، لكنها نسبيا تعتبر مكان إقامة مغلق وعادة ما تبنى المنازل في المدن قريبة بعضها من بعض، فيكون الحائط لصيق الحائط»[3]. يقصد بأن المدينة هي مجموعة مساكن مرتبطة وقريبة من بعضها ومنظمة وشديدة الازدحام، وفي وسطها شوارع للسير والمرور.

لجأ الكاتب إلى المدينة لأنّها تحمل في داخلها عدّة تناقضات، تمنح الكاتب فرصة في التعبير عن آرائه وعن عواطفه وعن مشاكله ومشاكل المجتمع « فلسفة المدينة هذه

---

[1] عبد القادر بوعرفة ، المدينة والسياسة (دراسة في السياسة)لابن رشد ، مركز الكتابة للنشر، ط1 ، القاهرة ، 2006 م ، ص102.

[2] باديس فوغالي ، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي ، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع ، ط 1 ، عمان ، الأردن ، 2008 م ، ص 175.

[3] محمد عاطف غيث ، علم الاجتماع الحضري (مدخل نظري)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان ، (د. ت) ، ص129.

ليست إلا وجهًا من ثنائية الرفض والقبول التي تطبع موقف الإنسان العربي من المدينة منذ القدم»[1].

ويرى **ويبر(Max Weber)** أن المدينة هي:« منظومة هندسية لها وظيفة اجتماعية واقتصادية ولها خصوصيتها »[2]، هي طرّاز هندسي يحمل طابعا حضاريا ومواصفات معينة تؤهلها للتحضر والتّقدم.

فالمدينة من خلال ما تقدم عبارة عن ظاهرة طبيعية تتأسس بالفطرة، ثم تتعقد لتصبح عبارة عن منظومة هندسية، يشكّلُها الإنسان، وتضم مجموعة من الأفراد المتجانسة يتعاملون مع بعضهم ويتشاركون لتلبية كل حاجياتهم الضرورية، سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية ...أو غيرها.

***المدينة في الأدب العربي:**

لم يلتفت الشاعر الجاهلي إلى حضور المدينة بقدر ما التفت إلى غيابها ورثائها ولم يكن يبكي ثقل عمرانها وكثافة بشرها، بقدر ما كان يبكي أطلالها وخلوها من أهلها؛ أي أن العربي قديما لم يكتب عن المدينة بقدر ما كان يكتب عن الحنين إلى الدار والأهل، لأن الجاهلي كان يفقد السيطرة على المكان، فهو في هروب دائم، وقد صوّر حالات الغربة والبعد عنها أو الشوق والتطلع إليها، والوقوف على الأطلال[3].

---

[1] المرجع السابق ، ص103.

[2] جوادي هنية ، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج ، مخطوط رساله لدكتوراه في : الآداب واللغة العربية ، تخصص أدب جزائري ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، كلية الآداب واللغات ، قسم الآداب واللغة العربية،2012م /2013م ، ص99.

[3] ينظر ، قادة عقاق، دلالة المدينة في الخطاب الشعري، ص 31-32.

وفي صدر الإسلام كان القرآن الكريم حاملا للكثير من الرسائل السماوية (من الدعوة إلى الإيمان بالله، وعدم عبادة الأصنام، وعدم الظلم) وأيضا جاء بتغيرات؛ من خلخلة معتقدات العرب الفكرية الراسخة، وتغيير الرؤى، واستقر الناس بعد اضطراب وترحال، وتأسست المدن...، أي أن الإسلام حارب الظلم والاستبداد والنظام القبلي[1].وأسس لحياة مدينية منظمة.

ارتبط مفهوم المدينة في الإسلام بما كانت تحويه وبما يرسم دورها ووظيفتها، فهي كما يرى ابن خلدون « مركزًا لسيادة الدولة ... وبحسب آدم ميتز "Adam Mitz" هي التي يكون فيها منبر... وعند بعض الأحناف وهو عدم جواز قيام صلاة الجمعة إلا في المدن التي هي مركز الأحكام الشرعية وفيها يتحقق العدل وتكون مركزًا للسلطان»[2].

فالمدينة إذن تدل على تجمع سكاني قوامه الحكم والسلطة والنظام فهي مركز الهيمنة والسيطرة المادية والمعنوية، كما تطلق أيضا على الأماكن التي تتوفر فيها أكثر المراكز حكما، ويجتمع فيها أكبر قسم من الناس، «وتطلق المدن أيضا على "العواصم" وأوّل من استعملها في الاسلام هارون الرشيد، وسمّاها عواصم لتعصم المسلمين من هجمات الروم»[3].

---

[1] ينظر ، مصطفى قطاف تمام ، المدينة في روايات (أحلام مدينة) لفريدة ابراهيم ، مخطوط مذكرة ماستر في الآداب واللغة العربية ، تخصص الأدب الحديث والمعاصر ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، كلية الآداب واللغات ، قسم الآداب واللغة العربية ، 2015م ، ص31.

[2] سالم المعوش، المدينة العربية بين عولمتين، دار النهضة العربية ، ط1 ، بيروت، لبنان، 2006، ص129-130.

[3] المرجع نفسه ، ص132.

ورد ذكر "المدينة" في القرآن الكريم في عدة آيات حيث، يقول عزَّ وجل:« قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ »[1]، وهي إشارة إلى موسى عليه السلام، والمدينة المقصودة هي مدينة منف في مصر.

وفي سورة الحجر ذكرت المدينة نسبة لمدينة "سدوم"[2] يقول سبحانه وتعالى: «وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ »[3].

كما تعتبر المدينة مركزًا اقتصاديا هاما تتمركز فيها التجارة والبيع والسوق، يقول الله تعالى: «قَالُوا۟ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ »[4].

أما في العصر الحديث الذي يعد عصر المدينة فقد شكلت موضوعا رئيسيا في كل المجالات، وإذ أسلوب الحياة في المدينة يمتاز بالتعقيد فقضاياها متعددة وأحداثها متنوعة تظهر فيها الكثير من الإشكالات مثل الفقر والغربة الإدمان والجنس صارت كل هذه الإشكاليات تُلون النص الروائي وتطبعها بطابع أحداثها[5].

---

[1] سورة الأعراف ، الآية 123.

[2] ينظر، سالم المعوش ، المدينة العربية بين عولمتين ، ص129.

[3] سورة الحجر، الآية67.

[4] سورة الكهف ، الآية 19.

[5] ينظر، عبدالله حبيب التميمي، تحولات المدينة في الشعر العراقي الحديث، ص29-30.

يعرف **إبراهيم خليفة** المدينة قائلا: « هي طراز متميّز للحياة الجماعية والانسانية وتعد المدينة تاريخا للبوتقة التي اختطفت وذابت بداخلها الأجناس والشعوب والثقافات فهي تجمع أناس من أطراف الدنيا مختلفين، ولأنهم مختلفون فهو أنفع لبعضهم بعضا مما لو كانوا متجانسين ذوي عقليات متشابهة»[1].

يعني هذا أن المدينة هي شكل جديد متميّز راقٍ، يجتمع فيها الناس من مختلف الأجناس والثقافات للعيش فيها، وينفعون بعضهم بعض لتحقيق سبل معيشية أفضل.

وتعني المدينة لدى **ياسر عابدين** : « انتماء حد معين من السكان إلى موقع جغرافي متميّز، يتفاعلون على ظاهرة اجتماعية متعددة الوظائف، قوامها إدارة وطبقات من السكان يتوزعون وفق صفقات اقتصادية وثقافية في إطار قانوني قوي واضح ينظم العلاقات والأفعال»[2].

هي تجمّع سكاني حضري أكبر من تجمّع القرية، تتنوع فيها الأنشطة والوظائف وعادة ما يكون الحكم فيها نظاما إداريا وحكومة خاصة بها، لها قوانين تضبط المجتمع وتنظم علاقاتهم. ويطلق لفظ مدينة على« المكان المأهول بالسكان، المختار في سعة من الأرض، لها ميزاتها الخاصة الطبيعية والبيئية... وهذا المفهوم لا يبتعد من الذي ساقه الغربيون هي مجموعة من البيوت المأهولة التي تتخللها الطرقات والشوارع»[3].

---

[1] أسماء شاهين، جماليات المكان في روايات جبر إبراهيم جبر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، بيروت ، 2001م، ص91.

[2] ياسر عابدين ، "مفهوم الفضيلة في مصطلح المدينة" ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية ، سوريا، ع1 ، 2012 م ، ص155.

[3] ينظر، سالم المعوش ، المدينة العربية بين عولمتين ، ص129.

إن للمدينة شكلا أو رسما تزيينيا خاصا بها يميّزها عن الريف حيث « تتقاطع مشاهد الأزقة والساحات والمقاهي والحوانيت والمنازل والوجوه والروائح والأصوات لتشكل فضاء خصوصيًا وإيقاعًا خاصا هو نفسه جوهر المدينة، جوهر العلاقات اليومية مع المدينة، وإن شئنا معنى المدينة»[1]، فهي شديدة الازدحام كثيرة الحركة والعبور تتقاطع فيها الاصوات وضوضاء السيارات والمصانع والمطارات، متنوعة الروائح التي تصدر من المطاعم والمقاهي... وغيرها، فكل هذه الصفات تميّزها وتؤهلها للتحضّر والعصرنة.

ويرى **عبد الصمد زايد** أن القرية هي الرّمز الأكبر للطبيعة والفطرة، هي رمز الطمأنينة والسكينة، هي رمز للموت والبقاء ورمز للجمال، أيضا هي فضاء للحرية والبساطة ومصدر للقيم الأصلية وهي الأم، ففي حين أنَّ المدينة هي مصدر للسلطة وقبلة القاصدين ومطمح النّازحين ومستودع الآمال والأحلام، مصدر الحضارة والرقي مصدر الاكتئاب، القرية هي الأساس والخير والمدينة كتلة من الشر[2].

إن « مجال القرية هو محط الثوريين الفعليين ويمثلون الخير والأصالة والحق. ومجال المدينة هو مستقر أعداء الثورة. وهم علامة الشر والزيف والباطل »[3].

ويذهب الروائي **عبد الرحمان منيف:** « أن المدينة ليست المعالم مهما بلغت في استعادة تفاصيلها وليست المياه والأرض والمدينة هي الحياة في في تعددها وتنوعها، هي

---

[1] حسن نجمي ، شعرية الفضاء(المتخيل والهوية في الرواية العربية)، المركز الثقافي العربي ، ط1، دار البيضاء، المغرب ، 2000 ، ص143.

[2] ينظر، عبد الصمد زايد ، المكان في الرواية العربية (الصورة والدلالة) ، دار محمد علي للنشر ، ط 1 ، تونس ، 2003 م، ص من 204 إلى 217 .

[3] المرجع نفسه ، ص217.

الأمكنة والبشر وهي التراث أيضا والمدينة هي الأحلام، والخيبات التي ملأت عقول الناس وقلوبهم »[1].

أي أنّ ما يميّز المدينة ليس فقط مظهرها الخارجي وهندسيتها ومعالمها الراقية الحضارية، بل هي بؤرة تصادم الأحلام والخيبات التي تملأ قلوب الناس، لهذا تجعل الناس يضيقون بها ذرعًا وينشدون الخلاص منها.

المدينة مثل ما تحتوي عليه من سمات حسنة إلاّ أنّها تحمل أيضا سمات سيئة فهي تعتري الشخصية وتؤثر بسلوكاتها ومبادئها ومشاعرها حيث أن تصادم القيم والعادات الإنسانية فيها تغير بالملامح الإنسانية وتصيبه بالعجز عن تحقيق غايته والخوف من الأحداث التي تحيط به وتحوّله تحويلاً سيِّئًا وتجعل المكان شديد القسوة وعدُوًّا له، مثل مدينة باريس التي تعد رمز الحرية والعدالة والثورية التي تحتضن الأحرار والسياسيين من جميع أنحاء العالم، لم تكن أكثر رحمة وإنسانية، بل كانت في نظر الذين وفدوا إليها مدينة متكبرة قاسية وغير أليفة[2]، فهي تشكل صدمة وجدانية خاصة لأولئك النازحين من القرى والأرياف.

إذ تبقى المدينة هي مجموعة من المسافات، لها أبعادها الاجتماعية والنفسية والفكرية والسياسية... فهي« ليست آلة تدور في حلقة مفرغة، إنها تلم شذارات فضاءاتها الطبيعية والمادية لتنسج ظلالا للشخصيات والأفعال وتملأ الفضاء الروائي بعلامات

---

[1] رحمة شعبان ، صورة المدينة في" رواية انكسار" لمحمد مفلاح ، مخطوط مذكرة ماستر في الآداب ، تخصص أدب حديث ومعاصر ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية ، 2014 م / 2015 م ، ص 36. نقلا عن : بهيجة مصري ، عاصر الديك (السيرة الذاتية في الخطاب الروائي العربي) ، ط1 ، الأردن ، 2010 م، ص105.

[2] ينظر، مرشد أحمد ، أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف ، دراسات التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق ، 2009، ص44-48

واستعارات غنية»[1]، فالكاتب يأخذ من المدينة رمزا يضفي على النص جمالا بغموضه ويغنيه بالمحسنات البديعية والصور الفنية.

والمدينة في حقيقتها تحضن مجموعة كبيرة من الناس مختلفي الأجناس يتشاركون وظائفهم وأعمالهم لتوفير حاجياتهم الضرورية من ملبس ومأكل و مشرب والأمان والسلم ملتزمين قوانين صارمة من قبل القانون لكي يتفادوا المشاكل والفساد ومعاقبة كل من يخرج عن القانون باعتباره جُرْم.

وتعرف المدينة أيضا على أنها:« التجمع البشري الذي يسبب انسلاخ الإنسان عن ماضيه وبالتالي فهي تمثل التمركز حول الذات ولكنها ذات تغص بالضيق والمرارة معا»[2].

يقصد من هذا أن المدينة فضاء جغرافي يعيش فيه الناس وهي مرجع لوقوع الحوادث، فهي تَسلِبُ من الفرد شخصيته وماضيه، فهنا الكاتب يحاول إحياء الأمجاد الكاذبة وهي لا تمده إلا بالخواء الجسدي والروحي (البؤس، الغربة، والضجر والحنين إلي الماضي ...) إذا قورنت بالريف، فهي لا بالمكان الأليف أو المكان المشتهي[3]، في حين هناك من يرى أن المدينة تحمل في طياتها الخير والشر معا، أي أن الآراء حولها تختلف من كاتب لآخر.

والمدينة هي الغربة والوحدة وهذه الصورة أكثر انتشارًا في الأدب عموما وفي الشعر الحديث على وجه التحديد، لاقترابها من ذات الشاعر في تصوير أحاسيسه من

---

[1] حسن نجمي ، شعرية الفضاء (المتخيل والهوية في الرواية العربية) ، ص143.

[2] عبد الله رضوان ، البنى الشعرية (دراسة تطبيقية في الشعر العربي)، دار اليازوري ، (د ط) ، عمان ، الأردن ، 2000 م ، ص 21.

[3] ينظر، إبراهيم خليل ، بنية النص الروائي ، الدار العربية للعلوم ، ناشرون ، ط1 ، الجزائر ، 2010 م ، ص133 – 134 – 135 .

جهة، وفي تصويره أحاسيس أهل المدن وحول هذا الموضوع يعلق الدكتور **عز الدين إسماعيل** فيقول:« ولعله من الواضح أن الشعور بالوحدة ليس فقط لانقطاع علاقة عاطفية، وإنما هو انعكاس كذلك لوجه الحياة في المدينة، ويتبع هذا الشعور بالوحدة ويلازمه الشعور بالضياع، فالإنسان في المدينة وحيدٌ ومضيعٌ »[1].

وما يجعل مشكلة الوحدة في المدينة هو الاحساس المنغلق على الذات وخلو فضاء المدينة من أي تواصل إنساني، كما تخلق أيضا الإحساس بالضجر والحزن وهذا ينطبق بصفة كبيرة على النازحين من القرى والأرياف، وأيضا الذين يعانون في المنفى، فهم أكثر تعرضًا لكل هذه الصدمات.

كما أنّ تعرّض المدينة للعنف يوقظ ذاكرة الذات ألم الحنين والشوق و يرسم صورة متخيّلة إلى البيت المفقود ، وللمدينة وللحي والحائط ولكل الأمكنة الأليفة، والرواية إذ تحكي أو تأتي بالكلام إلى كتابة روائية لها جمالية الشعر ومعنى الحقيقة، وتعبّر حنين البشر للعيش في قواقعهم الأليفة. وبهذا يمكن القول إنّ جمالية الحنين إلى المكان المفقود هي جماليّة استعادةِ الذات والهوية ومعنى الانتماء[2].

يلعب المكان دورا بارزا في تكوين وتحديد هوية الانسان، وأيضا في تصوير حياتهم المادية والمعنوية، وقد « كان ارتباط البحث عن الهوية بالبحث عن المكان فالذات البشرية لا تكتمل داخل حدود ذاتها، بل تبسط خارج هذه الحدود حيث المكان الذي يمكّنها أن تتفاعل معه»[3]. إذن فالمكان شرط أساسي في وجود الانسان وتكوينه.

---

[1] عبد الله رضوان ، البنى الشعرية (دراسة تطبيقية في الشعر العربي) ، ص21.

[2] يمنى العيد ، فن الرواية العربية (بين خصوصية الحكاية وتميّز الخطاب) ، دار الآداب ، ط1، بيروت، 1998.

[3] الشريف حبيلة ، الرواية والعنف (دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة) ، ص22.

من المعروف أن الإنسان يعيش في اجتماع ولا يمكنه البقاء وحيدا منعزلا، وذلك من أساسيات الوجود الانساني، حيث يكون هذا الاجتماع في رقعة جغرافية محددة، تجمع هذه الأفراد علاقات وتفاعلات للتواصل فيما بينهم، وينقسم هذا الاجتماع إلى إطارين: إطار فرعي وهو الريف وإطار رئيسي وهو المدينة، ولكل إطار نمط حياة معين يؤثر بدرجة عالية جدًا في تكوين الشخصية ف « وجود الإنسان لا يتحقق إلا في علاقته بالفضاء، تدفعه هذه العلاقة إلى أنواع من المعرفة، لا يقف عند حدودها بل يتجاوزها إلى امتلاك فضاء أرضي يمارس وسطه فعل الحياة، يتوطن فيه و يتجذر، ويكوّن لنفسه هوية تمثل كيانه الذي يتجزأ منه الفضاء»[1]. فيؤثر المكان في تفكير الفرد وفي عاداته وأساليبه ولباسه... وغيرها.

فالمكان يرتبط بالوجود الإنساني ويعكس طباعه وأخلاقه ومزاجه ويساعده على التعرف على مميزات وطباع وملامح هوية الآخرين، حيث أن « المكان الذي يسكنه الشخص مرآة لطباعه، فالمكان يعكس حقيقة الشخصية، ومن جانب آخر، إن حياة الشخصية التي تفسرها طبيعة المكان الذي يرتبط بها»[2]، لذا فإن لكل من طابع المدينة والريف هما ترجمة لي سلوكات الأفراد وصورة لتصرفاتهم.

لذا فإن العيش في المدينة ليس كما هو في الريف والاختلاف هنا يكون في جميع المجالات، فالشخص المتمدن يحمل معه كل سلوكات وأساليب وتصرفات المجتمع المديني حيث يكون في احتكاك مستمر بالآخرين، فالمدينة تساهم في بروز علاقة الأخذ والعطاء ومعرفة الذات من خلال الآخر، وطبعا هذا المكان له كل صفات العصرنة

---

[1] المرجع السابق ، ص22.

[2] سيزا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ) ، مكتبة الأسرة ، (د.ط)، القاهرة ، 1978، ص118،119.

والتطور التي تطبع في ذات الهوية، في حين أن الريف يشتكي من غياب كل ذلك ومن أبسطها غياب المرافق العامة الضرورية التي يمارس فيها الشباب حياتهم اليومية ويقضون فيها أوقاتهم، كما أن الشخصية في الريف قليلة الاحتكاك إلا مع أشخاص معروفين، من هنا تصبح الشخصية فاقدة لأسلوب الحوار والتعامل على غير الشخصية المدينية.

ثانيا/علاقة الرواية بالمدينة:

ترتبط الرواية بالمدينة ارتباطا وثيقا ف « الحديث عن ظهور المدينة في الروايات وتطورها عبر الزمن يقتضي منا التأكيد على أن فكرة المدينة كظاهرة مكانية، وبعد فلسفي فكري، وبوصفها رؤية حضارية قد يعتقد البعض أنها حديثة التصور إبداعيا وفنيا ولكن الأمر يختلف كلية لمن يبحث و ينقب في بطون كتب تاريخ الفكر الإنساني سواء العربي الإسلامي منه أو الغربي»[1].

ف «البحث والتنقيب يفصح لنا عن وجود كثير من الشواهد والأمثلة التي تدل أن المدينة " أو فكرة المدينة "، أخذت أبعاد فكرية وفلسفية واجتماعية كثيرة في التراث الإنساني على مر العصور»[2].

درست الرواية موضوع المدينة من جميع النواحي شاملة لكل ما يحيط بها لأنها «رواية كلية شاملة موضوعية أو ذاتية تستعير معمارها من بيئة المجتمع، وتفسح مكانا لتتعايش فيه الأنواع والأساليب»[3].

وسنحاول فيما يلي تتبع حضور المدينة في الرواية الغربية والعربية ونحاول الوقوف على تطوّر صورتها في هذه الأعمال الروائية.

---

[1] قادة عقاق ، دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر ، ص 23.

[2] الشريف حبيلة ، الرواية والعنف (دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة) ، ص23.

[3] صالح مفقودة ، المرأة في الرواية الجزائرية ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، بسكرة ، الجزائر ، 2003، ص41.

1. المدينة والرواية الغربية:

تعد الرواية فنًا من الفنون الأدبية، التي لها أهمية كبيرة في الساحة الأدبية، لأنها تطرح مواضيع وقضايا المجتمع الحديث والمعاصر بطريقة إبداعية وجمالية، وهذا هو السبب الأساس الذي جعلها تنتشر بشكل كبير وسريع، وشغف الناس بقراءتها.

غدت العلاقة بين الرواية والمدينة في التراث النقدي موضوعة مهمة وأساسية يمكن الانطلاق منها وخلالها للتعرّف على تجارب الروائيين إذ أصبح القول بأن الرواية هي (كائن مدني) انتسابا إلى المدينة الضخمة. وكانت الصلة بدأت تنعقد منذ طرح هيجل فكرة أن الرواية هي (ملحمة برجوازية) إذ ارتبط التطور في فن الرواية بوشائج واضحة. وقد تبنى جورج لوكاتش هذه الفكرة وعمقها، ثم امتد بها ف.ف. كوزينوف امتدادا آخر. ثم ترددت ترديدات شتى بحيث استقرت مقولة راسخة في أدبيات النقد الروائي[1].

ومن عوامل ازدهار الرواية الطباعة باعتبار الرواية نصًا مكتوبًا، و هذه الماكينة (الطباعة) ارتبطت بالعصر الحديث الصناعي الذي يكافئ وجود المدينة الحديثة، ومع بروز النشاط الصناعي بدأت حركة الهجرة أي من الأرياف إلى المدينة وأخذت تتوسع يوم بعد يوم، فشهدت تحولات في كافة المناحي لتكون مركز الحضارة، وبناء علاقات اجتماعية واقتصادية جديدة تولدت عنها حياة صعبة، حيث طفى التفكير المادي على العلاقات الانسانية، فبدأ الروائيون في القرن الثامن عشر بالهجوم والشعور بالازدراء تجاهها، فقد عدّوها موطن الخطيئة والرذائل والشر، ومن أبرز الكتاب في القرن نجد

---

[1] ينظر، حسين حمودة ، الرواية والمدينة (نماذج من كتاب الستينيات في مصر) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2000م ، ص19.

إميل زولا(Emile Zola)، أونريه دي بلزاك (Honore De Balzak)، شارلس ديكنز (Charles Dicken)[1].

وبعد أن فرضت الرواية حضورها واستخلصت ملامحها، وبلورت تجاربها الأساسية واستأثرت بتناولاتها، وكان من بين هذه التناولات عالم المدينة التي كانت تمثل للكاتب الغربي مرآة تعكس مخاوفه بشأن الطبيعة والعالم الطبيعي، وصورة الواقع من وجهة نظره، وقد كان لافتا حضور المدينة في الرواية منذ الروايات الأولى في التراث الإغريقي[2].

شهد القرن العشرين في أوروبا والولايات المتحدة اهتماما متزايدا بالمدينة... حيث جعلوها فضاء لإبداعاتهم. يذكر أن ما كتب في الغرب عن المدينة في الرواية يتجاوز ما ألف في الشعر ربما لأن المدينة ظاهرة روائية أكثر منها شعرية[3].

وعن علاقة الرواية بالمدينة، نقول: لهما تاريخا مشتركا، والرواية كما يصفها لوكاش ظاهرة مدينية، ذلك أن المدينة هي في الأساس المكان الذي كان متطلبا مسبقا لانبثاق الرواية كفن نثري، لم يتسن له أن يحقق تميزه كجنس أدبي إلا في«عصر الواقعية و اقتحام قضايا مجتمع المدينة المعقد بصراعاته، وطبقاته وتطلعاته»[4].

---

[1] ينظر، سليم بتقة ، الريف في الرواية الجزائرية (دراسة تحليلية مقارنة) ، مخطوط رسالة الدكتوراه في العلوم في الأدب الجزائري ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، كلية العلوم الإجتماعية ، قسم اللغة العربية و آدابها ،2009 /2010 م ، ص3.

[2] ينظر، حسين حمودة ، الرواية والمدينة ، ص20.

[3] سليم بتقة ، الريف في الرواية الجزائرية (دراسة تحليلية مقارنة) ، ص4.

[4] جوادي هنية، صورة المكان و دلالاته في روايات واسيني الأعرج، ص99. نقلا عن : عبد الله ابراهيم ،الريف في الرواية العربي ،ص07.

ومن آراء الغربيين حول علاقة الرواية بالمدينة نجد **جورج هنري لاري (G.Henri)** «إلى أن العلاقة بين الرواية و المدينة هي علاقة متوترة، وغير ثابتة»[1]. يرى أن الرواية مضادة للمدينة وترفضها وأنها علاقة متغيرة غير مستقرة، وأن المدينة هي التي غذت الرواية بفضاءاتها المختلفة.

وتمثل المدينة لدى **هنري جيمس(Henri James)** : « صورة للغنى والقساوة والشقاء، العظمة الملتبسة بالخطيئة، لحمة البشرية وزبدتها»[2].

ومن خلال هذا نستنتج أن الآراء حول هذه العلاقة مختلفة من روائي إلى آخر إلا أن الروائيين يشتركون في اعتبار المدينة مكان الفساد والفقر والقبح، ومكان الجريمة التشرد، السلطة، الحزن، والاكتئاب، التعب، كثرة البطالة وغيرها من أفعال وأعمال الشر.

فحين نجد من يحبّذ فكرة المدينة وأنها مركز للحضارة والارتقاء وتغني بفضائها. وهذا ما يبين لنا أن« علاقة الكتاب بالمدينة يسودها التناقض: بين الحب/الكره التذكر/النسيان ، القبول/الرفض، الحنين/القطيعة»[3].

كتب الغرب عن المدينة في الكثير من الأعمال الروائية نذكر منها : مدينة "دبلن" في روايات "جيمس جويس" (James Joyce) فمثلا في روايته التي تحمل عنوان "أوليس" (Ulyesse) عنون كل فصل من فصول الرواية بمدرسة أو شارع أو حمامات أو شاطئ من مدينة دبلن، أيضا نجد مدينة نيويورك في رواية (تحول مانهاتن) Manhattan) (Transfer لمؤلفها "جون دوس باسوس" (John Dos Passos) حيث يشير إلى

---

[1] سعد محمد رحيم ، الرواية والمدينة ، الحوار المتمدن ، ع1236 ، 2005/08/14م ، الساعة 10:20.

[2] سليم بتقة، الريف في الرواية الجزائرية (دراسة تحليلية مقارنة)، ص4.

[3] ينظر، جوادي هنية ، صورة المكان دلالاته في روايات واسيني الأعرج ، ص100.

مدينة نيويورك في أكثر العناوين بشكل مباشر، وأيضا نجد مدينة "باريس" عند مارسيل بروست (Marcel Proust)[1].

إن ما يجعل الطراز المعماري لمدينة ما أدبيا هو أن الأدب يمنح الصمت صوتا ويجعل المدينة تعبر من عالم التخييل إلى عالم المحسوس في الوقت الذي لا تتحدث فيه المدينة ولا يكون لها إلا وظيفة واحدة وهي توفير السكن والسماح بحياة اجتماعية حول ميدان تدور فيه الحياة السياسية والاقتصادية والمالية، وتدور الحياة الدينية حول معابده وكنائسه[2].

إذن تعتبر المدينة في النص الروائي الغربي وعاء لكل الأحداث والأبعاد (الجغرافية والفيزيائية والهندسية والتاريخية والنفسية والاجتماعية...)، يلجأ إليها الكاتب للدلالة بها على المرأة أو الوطن أو حادثة تاريخية (أي رمزية). حيث تخرج من مفهومها الاصطلاحي المتعارف عليه على أنّها " موقع جغرافي يعيش فيه الكثير من الناس من مختلف الأجناس" إلى الدلالة على أحداث أو أبعاد مختلفة (نفسية اجتماعية فنية...).

2. المدينة والرواية العربية:

اتخذت الرواية العربية من المدينة. مدخلا رئيسًا يساعدها على تناول موضوعات شتى في كافة المجالات، كونها مكونًا تؤثر بشكل كبير على كل الإطارات سواء بالإيجاب أو السلب، كما تمكن الروائي من رصد كل التناقضات التي تزخر بها المدينة وصور كل الصراعات النفسية والخارجية التي يشعر بها الفرد في عالمها أو داخلها.

---

[1] ينظر، جان إيف تاديه ، الرواية في القرن العشرين ، تر: محمد خير البقاعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998 ص 102.

[2] المرجع نفسه، ص101.

تكسب المدينة في الرواية العربية أهمية بالغة حيث« يثير المبحث المكاني عامة في الرواية العربية عديد القضايا الأسلوبية والدلالية. وتزداد هذه القضايا تخصيصا بالمدينة، لأنها موضوع مركزي في تاريخيّة الرواية»[1].

ترى الناقدة خالدة سعيد « أن نشأة الرواية العربية تَلاَزمت ونُمُوّ المدينة. فَوَعيُ الكتابَة الروائيّة هنا اقترن أساسًا بِوَعي المكان»[2].

لذا يحتل فضاء المدينة في الرواية العربية الصدارة ضمن العناصر السردية الأخرى بحكم أن العصر الحديث هو عصر المدينة، فهما يتقاربان في النشأة والظروف التاريخية.

تمثل المدينة في الرواية العربية المنطلق الأول الذي طرح من خلاله المبدع همومه ومشاكله ومختلف الأفكار التي تخص موقفه من الحياة، الذي أدرك حجم المتاهة التي يعيشها الإنسان داخلها، وما مرَّ به (الانسان) من نهب وسلب وقتل من طرف الحركة الاستعمارية، ومشكلة حركة التمدن، أصبحت المدينة تمثل مشكلة حضارية عرفتها الانسانية، جعل المبدع من المدينة ظاهرة إبداعية لها أبعاد جمالية وجسّدها في الفنون الأدبية و«يتفاعل معها معايشة وتذكارًا وتخيلاً، ولا يتعامل معها كحيز جغرافي فحسب وإنما بخاصة كحيز إنساني»[3].

---

[1] مصطفى الكيلاني ، الرواية والتأويل (سردية المعنى في الرواية العربية) ، أزمنة للنشر والتوزيع ، ط1 ، عمان ، الأردن ، 2009م ، ص51.

[2] المرجع نفسه ، ص53.

[3] شاكر النابلسي ، جماليات المكان في الرواية الجزائرية ، دار فارس للنشر والتوزيع ، ط1 ، عمان ، الأردن ، 1994،ص10.

«حيث بدت مدينة (الآخر) مثالا للدهشة كما تعكسه رواية (عصفور من الجنّة) لتوفيق الحكيم، والجن والملائكة في (أديب) لطه حسين، ومرآة لتقدم (الأخر)، والوعي بتخلف (الآنا)، كما كان الحال من قبل عند رفاعة ورافع الطهطاوي»[1].

ومع نضج الرواية العربية في الثلاثينات من القرن العشرين، وتنامي المدينة العربية في مصر والشام واحتكاك المثقفين العرب ببيئة المدينة، أصبحت المدينة مكانا مهما لأحداث كثيرة من النتاج العربي وهذا ما نجده عند نجيب محفوظ في رواياته فقد كانت القاهرة كثيرة الحضور في كتاباته بأحيائها الشعبية والتاريخية والبرجوازية، وبآثارها ومفاهيمها. وهي ظاهرة ثابتة في أدبه ويعتبر أديب القاهرة أو مؤرخها الفني[2].

وليست المدينة، بهذا الربط بين وعي الكتابة ووعي المكان بيوتا وشوارع فحسب بل هي منظومة علاقات تختلف بها حياة البشر عن الحياة في البوادي والأرياف، أي منظومة هندسية واسعة متعدّدة الأشكال ذات وظيفة سسيولوجيّة واقتصادية.[3] وهذا كان بعد الخمسينات من القرن العشرين، حيث أثرت على المدينة كل العوامل الداخلية والخارجية، فمن الناحية الاجتماعية مثلا فشل بعض النازحين من الأرياف في توفير مسكن أو عمل وهذا ما يجبر البعض على السرقة، و الاختلاس... وهذا ما يرفضه المجتمع العربي المسلم، فهنا تحدث للفرد أزمة نفسيّة واجتماعيّة في نفس الوقت. ومن ناحية أخرى أصبحت المدينة ملتقى التيارات الفكرية والفلسفات العالمية الواردة إليها من جهات مختلفة من العالم[4].

---

[1] سليم بتقة ، الريف في الرواية الجزائرية (دراسة تحليلية مقارنة) ، ص07.

[2] ينظر ، المرجع نفسه ، ص 07.

[3] مصطفى الكيلاني ، الرواية والتأويل (سردية المعنى في الرواية العربية) ، ص53.

[4] ينظر ، سليم بتقة ، الريف في الرواية الجزائرية (دراسة تحليلية مقارنة) ، ص 7-8 .

أي أن المدينة في الرواية العربية موقفين موقف الرفض، الذي يعتبر المدينة هي مركز للمعاناة والتقييد والسلطة، فلا يوجد فيها إلا الشر، في حين يأتي الموقف الآخر وهو موقف القبول الذي يراها مكانا للحضارة والارتقاء والنشاط ويصفون كل ما فيها من أشياء جميلة حتى ولو كانت بسيطة مثل (وصف شارع أو شخص من خلال تطلعه على نافذة) أي يرى أن كل ما فيها خير.

حيث يذهب الكاتب واسيني الأعرج في أحد حواراته إلى أن« المدينة تمنحك فرصة أن تعيش ذاتك، والإحساس بالحرية في الذهاب إلى المسرح أو المكتب أو الدرس... أن تكتشف معلما داخلها...إلخ. المدن جميلة تمنحك الحب والقدرة على الوجود و الصمود، وفي داخلها لك وجود أشد من ذلك الذي في القرية... [ويشير في نفس السياق] إلى أن: علاقة العربي عموما بالمدينة علاقة مرضية وبعض المدن العربية تتحلل ويأكلها الخراب»[1].

تمثل المدينة للروائي العربي بؤرة ثقافية وحضارية وتاريخية تخفي تجارب وذكريات وأحداث، كما هي مكان لتغير القيم الإنسانية وسلب عاداتهم وهويتهم، أيضا هي رمز المتاهة والضياع والحزن والقلق... وغيرها.

3.المدينة في الرواية الجزائرية:

شهدت المدينة في الرواية الجزائرية حضورًا بارزا يعبّر من خلالها الروائي عن رصد الظروف التي تواجهه في حياته سواء في مدينته أو المدينة التي انتقل إليها، حيث تساعده على وصف شعوره وعواطفه، كما أيضا يصور لنا معالم مدينته وآثارها العظيمة أو رسم مدينة معينة عشق جمالها كان قد زارها أو تمنى زيارتها أو العيش فيها.

---

[1] جوادي هنية ، صورة المكان و دلالته في روايات واسيني الأعرج ، ص102 .

تحتل المدينة مساحة واسعة في الرواية الجزائرية المعاصرة اهتم بها الروائيون الشباب منهم خاصة كما فعل أيضا الرواد، إذ بدت في بعض النصوص وكأنها النسيج الجغرافي؛ الوحيد لما تقدمه من تجربة واقعية حية، إلى جانب الجمالية التي توفرها والثيمات التي احتشدت في تلك الفترة ، فكان الروائي الجزائري مسكونا بالحياة الثقافية والسياسية الجزائرية في فترة معقدة من تاريخ العلاقة بين الأحزاب السياسية في تسعينات القرن العشرين[1].

نشأت الرواية الجزائرية مرتبطة بعالم الريف، فكانت القرية كما في واقع الحياة المجال المفتوح الموحي بالحرية، والفضاء المركزي الخاص للهوية[2]، حيث اهتم الروائيون بالريف واتخذوه بيئة رواياتهم، فكانت تصور لهم واقعهم ومشاكلهم (من معاناة وعدم توفير المراكز الضرورية، والجهل، وقساوة الحياة، وبعد مراكز التعليم والصحة وغيرها من المشاكل...) التي لم تكن متوفرة و تعانيها القرية وعلى سبيل ذلك نجد رواية [ريح الجنوب] لعبد الحميد بن هدّوقة.

وبحلول مرحلة التسعينات أقبلت الرواية الجزائرية على المدينة فأصبحت فضاء مركزيًا في الكتابة في حين أصبحت القرية هامشا. وقد نجحت المدينة في السيطرة على كيان الشخصية الروائية، و شغلت بال الكثير من المؤلفين الجزائريين.

حيث أصبح الكاتب أو الروائي الجزائري يؤلف عن المدينة و يصفها، (أي يصف شوارعها، دكاكينها، مقاهيها، كثرة سكانها، اتساعها...) مثل ما نجده في رواية (بان الصبح) لعبد الحميد بن هدّوقة يقول: "وقفت دليلة في مفترق الطرق بين حسين داي

---

[1] الشريف حبيلة ، الرواية و العنف (دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة)، ص59.

[2] جوادي هنية، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، ص83.

والقبة". وأيضا نجد هناك من يصور الظروف الاجتماعية لما تحمله من صعوبة العيش (قساوة الحياة، البؤس، العزلة، الغربة...) وهذه الأخيرة (الغربة) نجد الشاعر (الطاهر والطار) في روايته (الشمعة والدهاليز) يصورها حيث يرى نفسه غريبا في المدينة، كما نجد من الروائيون من يصور المدن ويتغنى بما فيها من جمال وآثار ويشير إلى ما ترمز إليه من دلالة تاريخية أو رمزية ...إلى غير ذلك، نجد محمد ديب في روايته (الدار الكبيرة) يصور مدينة تلمسان بعد الحرب العلمية الثانية[1]، إذ نجد أن كلمة المدينة تحضر في المدونة الروائية المعاصرة بكثافة حتى أن بعض الروايات لا تكاد تخلو صفحاتها من ذكر المدينة، كماهو الحال رواية [سيدة المقام] لواسيني الأعرج التي يمكن عدّها رواية مدينة، و كذا امرأة بلا ملامح لكمال بركاني، ورواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي، إذ تنقل كثافة حضور المدينة إلى مستوى الوعي وتجرّده من ماديته الجغرافية أو الهندسية، تحمله اللغة،[2] كذلك يتخطى إلى مستوى دلالي يجعل منها فضاء للأزمة بكل أبعادها[3].

إذن فواقع المدينة لم يعد مرتبطا أو يعبّر عن المكان الجغرافي الهندسي، بل أصبح مفهومه معقدا، يصدم القارئ أحيانا، فيمكن أن تكون رمزا للمرأة أو للوطن أو المنفى... وأيضا يمكن أن تعبّر عن أماكن وعواطف وأحاسيس لها أهمية لدى الروائي أو البلد الجزائري ككل.

نستنتج من خلال ما سبق أن المدينة فن هندسي حضاري ذو معالم كبيرة، لكن الروائي حين يوظفها ليس فقط لجمال معالمها واتساعها، وإنما ليعبر بها عن أبعاد أخرى

---

[1] ينظر ، مصطفى قطاف تمام ، المدينة في رواية (أحلام مدينة) لفريدة ابراهيم ، ص13 .

[2] الشريف حبيلة ، الرواية و العنف(دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة) ، ص59.

[3] المرجع نفسه ، ص61.

ورموز معينة لكي يعطي لنصه جمالا فنيا، وينظر الروائيون إليها على أنها أفق الحدث، فهي من ناحية ثنائية الرفض والقبول لكثير القضايا الفكرية والاجتماعية التي سادت المجتمع، أي لكل روائي وجهة نظر معينة ينظر من خلالها للمدينة، كما أنها قد تندمج الثنائية في نفس الروائي الواحد.

ويبقى موضوع المدينة بالنسبة للكاتب الغربي والعربي على حد سواء إشكالية حضارية معقدة، على اعتبار أنّها منظومة خلقت تساؤلات جديدة حول نظرتها للأشياء فحاول الكاتب رسمها ليعبر بها عن كافة الأوضاع والظواهر وشكلها في لوحة فنية هندسية درامية متميزة.

تحضر المدينة في أغلب الروايات الجزائرية لتعبّر عن واقع العنف العدواني الذي طال المدن، وعن ظاهرة الاغتراب والمنفى التي طالت الشخصية ومستها في الصميم حيث تولّد هذه الظواهر نزيف داخلي في قلب وذاكرة الروائي شوقا وحنينا وحسرة على المكان الضائع، والشعور بالوحدة والغربة في العالم الجديد، كل هذه الأحاسيس والعواطف تولّد في الذات متعة التّذكّر واستعادة الماضي الجميل والأليف، وهذا ما سنحاول تقديمه فيما يلي.

الفصـل الثانـي

الفضاء المدينـي (الأبعاد والدلالات)

أولا/ تجليات الفضاء المدينـة في روايـة " تماسخت"

1. المدن الداخلية

1.1. وهـــران

1.2. الجـزائـر

2. المدن الخارجية

2.1. المدن العربية

1/ المغرب

1.1. وجـــدة

1.2. الربـــاط

2/ تـونـس

1.2. القصبة

2.2. المدن الغربية

ثانيا/ جماليات الفضاء المدينـة في روايـة "تماسخت"

1. المـرأة/ المدينـة

2. المدينـة/ الوطـن

3. المدينـة/ المنفى

أولا/ تجليات الفضاء المدينة في رواية "تماسخت":

إن الحديث عن المدينة ليس فقط كونها « فضاء جغرافيا واجتماعيا تضم مجموعة من البنايات يسكنها عدد معتبر من البشر يشتغلون في نشاطات ذات طابع تجاري وصناعي وإداري، أي تختلف عن القرية من حيث الطبيعة الاجتماعية والاقتصادية وكذا من حيث العدد البشري ونوعية العلاقات الانسانية، فهي - أي المدينة - تنزع نحو الفردانية عكس القرية حيث تغلب العلاقات ذات الطابع الجماعي والعائلي والاعتماد على الموارد الفلاحية وخدمة الأرض ورعاية الحيوانات الأليفة»[1].

وأيضا يمكن للكاتب أن يوظّف المدينة باعتبارها إطارا مركزيا، فهي أكثر استقطابا للعنف الاستعماري والعدو والوجهة الأساسية لهم بحيث هنا« لا تمثل المدينة حالة حضارية معقدة في علاقة الريف بالمدينة. والشرق بالغرب فقط، بل تجسد أيضا صوَرًا أخرى لتاريخ المعاناة والمقاومة »[2].

يخلق الروائي فضاءات متعددة تعكس رؤيته ونظرته، والتعبير عن موقف الشخصية، كما ساعدته في حركة الشخصيات وسيرورة الأحداث وتطورها، فبخياله الواسع وتفكيره العميق استطاع أن يأخذنا إلى هذه الأماكن وكأننا نعيش تلك اللحظات فبقدرته وعبقريته الإبداعية استطاع تحويل هذه الأماكن إلى أماكن ملموسة لها جماليات ودلالات وتأثيرات في نفس القارئ. إذ إن الروائي تعامل مع الفضاء بوعي ووظّفه بطريقة توحي وتعبّر على المعاناة والأحاسيس والأحداث التي مرّ بها البطل وعاشها.

---

[1] داود محمد ، "المدينة في الرواية الجزائرية الفضاء القسنطيني في رواية الزلزال" ، إنسانيات ، ع 13، ص 28.

[2] ينظر ، ابراهيم رماني ، المدينة في الشعر العربي – الجزائر نموذجا– (1925–1962) ، دار هومة ، ط2 ، بوزريعة – الجزائر، 2001م ، ص 8.

أبدع "الحبيب السايح" في توظيفه للفضاء المكاني كغيره من الروائيين، فبخياله جعلنا ننتقل معه من مكان إلى مكان ومن مدينة إلى مدينة ومن بلد إلى بلد، وأبهرنا بوصفه الجميل للأماكن البسيطة والإعجاب بها من خلال إبداعه.

تدور أحداث رواية " تماسخت " في رحاب ثلاث مدن عربية "الجزائر وتتمثل في وهران، والمغرب في الرباط، وتونس "، من خلال انتقال أو سفر البطل " كريم " إليها بحثا عن الأمن والاستقرار والتّكيّف، ومع سيرورة الأحداث واسترجاع الماضي، ذكر لنا الروائي أماكن متعددة ومتنوعة (أمكنة مفتوحة وأمكنة مغلقة) يصفها ويعبّر عن مدى شوقه إليها.

1 . المدن الداخلية:

إن المدن كما يقول الروائي عبد الرحمن منيف: « كالبشر فلكي تقوم العلاقة مع المدينة أية مدينة يجب أن يحس الإنسان بالطمأنينة، بالألفة بالحب وهذه تتولد نتيجة الإحساس أن هذه المدينة تعني له شيئا خاصا ولا يمكن أن تستبدل بأية مدينة أخرى وهذا ما يعطي المدينة طعمها و ملامحها»[1].

نسترجع من خلال الرواية حقبة زمنية معينة عاشها الشعب الجزائري، تعبر عن حقيقة مؤلمة وواقع مُزري وسنوات من الرّعب والخوف والقتل بوحشية أطلق عليها اسم " *العشرية السوداء*"، *أو"سنوات الجمر"* دامت حوالي عشر سنوات بداية من [ديسمبر

[1] جوادي هنية، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، ص101. نقلا عن: عبد الرحمان منيف، حول هموم الرواية وهموم الواقع العربي، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان ، ع155، جانفي1992، ص126.

1991م إلى بداية 2002م]، هي صراع مسَلّح بين فصائل الإرهاب والنظام الجزائري، أدّى بالمواطن الجزائري إلى النّزوح والسّفر والهرب من بلده أو موطنه خوفا من الموت.

1.1. مدينة وهران:

ورد في مدونة البحث الحديث عن مدينة "وهران" بشكل كبير جدا، قد أخذت مكانًا رئيسيًا دارت فيه الأحداث، كونها مدينة البطل التي راعت شبابه وتعليمه بعد قدومه من مكان مولده ونشأته (مدينة سعيدة) مع أمه يقول:« بدا لكريم الماء أزرق فاتنا بمداه باهرا بالأثر العظيم الذي حفره في ذاكرته يوم دخل وهران مع أمه أول مرة فارين من ملاحقة الاستخبارات الفرنسية قادمين من مدينة سعيدة في مقطورة شاحنة»[1].

يقدّم الرّوائي صورة مدينة "وهران" والحزن يملأ قلبه، عن المأساة والدمار الذي حلّ بها، والقهر الذي تعيشه، إن الخوف من الموت جعل حركة أهلها تقل نهارا وليلا سَلَبَ منها جمالها وسحر أنوارها الليلة. فوهران كما هي معروفة عليه وكما يسميها البعض هي "باريس الثانية" لكثرة جمالها. « وهران من هذا العلو، تبدو أنهكتها متاعب نهارها وساعات زنى ليلها. لكنها في كل الاحوال تظل قلاّبة»[2].على الرغم من كل ما تعيشه من حصار وقتل وانفجار من قبل المسلحين إلاّ أنها لا تزال متألّقة في نظر البطل.

يصف الروائي مدينة "وهران" في عصر الظلمات والقهر الاستعماري الذي أفقدها صفاءها الروحي وزادها اضطرابا وتعقيدا، فلجأ أهلها إلى الاختباء هربا وفزعا وخوفا

---

[1] الحبيب السايح ، تماسخت ، ص 185.

[2] المصدر نفسه ، ص 06.

«بحثت في سراديب ذاكرتي عن منبع للحقد عليه، فقابلتني وهران، على غير عادتها ساكنة الشرفات متعطرة بالكافور، متلفة الجمال»[1]. إن العنف الإرهابي انقض على مدينته وأخذ يلتهمها وأكل الأخضر واليابس فيها، حتى انطوت المدينة على نفسها مكسورة الخاطر حزينة مصغية إلى الرعب الذي يقطع أحشائها.

وأيضا يشبه حال وهران بالجندي القوي الذي يختبئ من العدو وهو يحرص على نفسه يقول: «نائمة الآن على عين كمحارب في خندق»[2].

يعتبر البطل " وهران " جزءا من روحه وكيانه، وكأنه ولد وترعرع فيها، فحبه لها يجري في دمه كحب الابن لأمّه وكحنانه عليها وشوقه لها، فكلما ابتعد لحظة عنها يخنقه الشّوق، وأنّه لا يوجد في الجزائر مدينة أجمل من وهران: «شعرت دائما أني تشكلت من زبد بحرها. لم أجد في الجزائر مدينة مثل وهران تجعلني أحس أني جزء من كيانها»[3].

وفي موضع آخر يمدح وهران بعد المحنة التي مرت عليها، ويرى أنّها لا تزال قلاّبة وتتمتّع بجمال منظر ليلها وسحر أنوارها، كأنّها لباس تقليدي(قفطان كما وصفها) على جسم امرأة مزين بالأحجار ولمعانها في الليل الذي يخطف الأنظار ببريقها يقول: «كما ترك وهران مذ غادرها، لا تزال تلبس أنوارها الليلية كترصيعة قفطان على جسم تلمسانية محتفية»[4].

---

[1] الحبيب السايح، تماسخت ، ص 42.

[2] المصدر نفسه ، ص 06.

[3] المصدر نفسه ، ص 07.

[4] المصدر نفسه ، ص 14.

كما نجده يقول عن " وهران " « مدينة، لا تبرح مغرية مخادعة. حنونٌ ودافئة مثل امرأة ثيّب ثلاثينية العمر! كلما أقفلت أبوابها الشمالية واستدارت إلى الجنوب تلثم البحر بأمواجه وأهدابها، وهدهد عماراتها برياحه الشمالية»[1]. فالمدينة عند الروائي كائن حي وشبهها بالمرأة، خالدة بأصلها وماضيها، وبجمالها وفتنة عمرانها وحضاراتها وبسحر طبيعتها، فهي توحي بالحب والتعاطف في داخلها، تستقبل الزوار والسياح برحب ومحبة.

إذن تمثل "وهران " بالنسبة للبطل فضاء للقتل والرعب والخوف، فاقدة للألفة الإنسانية جراء الأفعال الإجرامية على يد الارهاب. هي مدينة مشحونة بمشاعر البطل الحزين، وبؤرة لأحداث العنف.

تحضر مدينة " وهران " في الرواية بشوارعها العريقة العتيقة ومطاعمها ومقاهيها فلكل عنصر مكاني ذكرى في وجدان البطل.

أ/ الشوارع:

يعتبر الشارع مكانًا عامًا مفتوحًا تتحرك فيه الشخصيات بكل حرية وتمارس فيه حياتها اليومية والعادية، « هي أماكن انتقال ومرور نموذجية، فهي التي ستشهد حركة الشخصيات وتشكل مسرحا لغدوها ورواحها عندما تغادر أماكن إقامتها أو عملها»[2]. و« يعد الشارع جزءا لا يتجزأ من المدينة وأحد العلامات المكانية البارزة فيها»[3].

---

[1] الحبيب السايح ، تماسخت، ص 06.

[2] حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي " الفضاء ، الزمن ، الشخصية " ، المركز الثقافي العربي ، ط2 ، بيروت، الدار البيضاء ، 1990 ، ص 79.

[3] جوادي هنية ، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج ، ص 111.

يذكر الروائي العديد من أسماء شوارع مدينة " وهران " يعبّر بها عن الألم الذي في وجدانه ويتذكّر من خلالها رداءة الواقع وقسوته وبشاعة الوضع. «أشعر بعظيم الخجل يجتاحني كلما تذكرت نبأ اغتيال سي عبد القادر ليلة خميس نزل فيها على وهران صعقة من فاجعة أخرى أعظم غدروا به في شارع مستغانم، وفي أواخر رمضان»[1]. فهذه الفاجعة بقيت راسخة في نفس "كريم" لقساوة مشهدها. ويقول أيضا عنها: «فتراءت له يد سي عبد القادر امتدت إلى دمه العاري في الشارع الخالي ورسمت به على الجدار الله برئ، فغمز له نجم ثم هوى، فيما كان قاتله يرقبه من شرفة حقده»[2].

يقول السارد : « توهّم أن تحت أنوار الشارع الصامت جحافل من العفاريت بخلقة إنسية. يُعدون لغد جديد يطلع بالفجيعة»[3]. الشارع هنا يرمز ويصور غدر ووحشية المسلحين الذين لا يعرفون سوى القتل والعنف والتّعذيب بكل وحشية.

إن همجية الإرهاب وحقده وغدره وبشاعة أعماله، جعل الناس يمتنعون عن الخروج من بيوتهم لقضاء حاجياتهم والذهاب إلى الحانات والمقاهي للترفيه عن أنفسهم فمرارة الحياة جعلتهم يكرهون كل شيء. « في شارع العربي بن مهيدي حيث حانة فتحت بابها بالنصف. لم أدخل، ليس خوفا من انفجار قنبلة توضع أو من إطلاق زخة رشاش في الداخل... فلم تعد لي شهوة في شرب وأكل...»[4]. لا ترتبط هذه الشوارع بماضي الشخصية، فقط بل تدل أيضا على أصالة الشارع وموقعه الاجتماعي.

---

[1] الحبيب السايح ، تماسخت ، ص 41-42.

[2] المصدر نفسه ، ص 48.

[3] المصدر نفسه ، ص 09.

[4] المصدر نفسه ، ص 42.

ويرسم لنا الروائي فضاء الشارع بطابع هندسي حضاري يتسم بالحركة المتواصلة والدائمة فهو يدل على مدى أهمية موقعه وأصالته ومكانته التجارية، كما يحمل طابعًا رومانسيًا حين تذكر حبيبته. « على رصيف شارع طويل مزدحم حضن يدها مشيا نحو البحر»[1]. و أيضا يصف طول الشارع و أنواره المتباعدة، يقول: «ثم استدار إلى أسفل الشارع الممتد. تسافر فيه أنواره المنخولة متباعدة مثل ريوق هلامية»[2].

تمثل الشوارع في النص فضاء للألم والحزن وصور الفجائع، هي طرق للفناء والموت والقلق والخوف، وبعضها رمز للذكرى (للحب والصداقة والأهل... وما إليه).

ب/البيت الريفي:

البيت هو مسكن الإنسان الأصلي والركن الأول الذي نشأ فيه يقول **غاستون باشلار**:« البيت هو ركننا الأول. إنّه كما قيل مرارا تكرارا كوننا الأول، كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى»[3]، هو مكان مغلق يضمن الراحة والاستقرار، يرتبط بالإنسان ارتباطا وثيقا. فهو المكان الأليف الذي يشكل الجانب النفسي (الآمال والأحلام والطموحات ...).

وإذا ما عدنا لمدونة البحث نجد الروائي قد أعطى الكاتب أهمية كبيرة للبيت الريفي، هذا البيت الذي يتذكّره ودائما في ذاكرته، ويحن إليه لنقائه وتأثيره في وجدانه

---

[1] الحبيب السايح ، تماسخت ، ص 60.

[2] المصدر نفسه ، ص 14.

[3] غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدار والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، 1984، ص36.

«المكان الحنيني، وهو المكان الذي يذكرنا بالماضي أكثر مما يذكرنا بنفسه»[1]، هو مكان الطفولة و الذاكرة في الزمن الجميل.

البيت الريفي هو مكان متواضع بسيط لا يتوفر فيه إلاّ الأغراض الصغيرة والبسيطة وأكله البسيط، لكن ينبعث فيه الاحساس بالسكينة والهدوء والسعادة « هنالك في بيتهم الريفي، إذ أخرج من بوغَتِه حبة البطاطا المشوية»[2].

يحضر البيت الريفي في "تماسخت" من خلال البطل، فكلما شعر بالقلق والضجر والاختناق من الوضع الصعب الذي يعيشه ازداد حنينا إلى أمّه وشوقا لها وإلي بيتهم الملئ بالسعادة والطمأنينة « تذكّر أمّه تقوم كل صباح، هنالك في بيتهم الريفي على صيحات ديوكها و همهمات الحيوانات في الزريبة توقد النّار لتحضير إفطار لذيذ من القهوة بحليب الماعز وخبز المدلوك بالزيت»[3].

إن الوضع البائس الذي تعيشه البلاد جعل الشخصية مرتحلة غير مستقرة فبعد السارد عن وطنه وخوفه من الموت جعله ينزف ألمًا ويأخذه الشوق والحنين في كلِّ مرة إلى أهله. « خوفي وترددي وحبي الباقي لأرض أبويّ هو ما يمزِّقني فانزف حنينا إلى طفولتي المسروقة»[4].

أذْكَت غربة البطل شعوره بالغبطة والضجر والحنين إلى الماضي الجميل وإلى طفولته البريئة النّقية المليئة بالآمال والشوق إلى بيت الأجداد وأصوات الطبيعة التي

---

[1] شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية ، دار فارس للنشر والتوزيع، ط1 عمان ، الأردن، 1994، ص15.

[2] الحبيب السايح ، تماسخت، ص 27.

[3] المصدر نفسه ، ص 74.

[4] المصدر نفسه ، ص 135.

توحي بالحياة الهنيئة. يقول :« أحن إلى أمن طفولتي هناك في سفح الجبل الموقوف باسم جدنا، إلى هدهدة حفيف غابته ينعشني ضوعها جالسا تحت الصنوبرة الكبيرة قرب بيتنا يطربني هديل الحمام ويشجّيني نوح اليمام بلوعة لم أدرك مصدرها أبدا! ومن أعلى هضبة، عند سفح ذلك الجبل....»[1]. أبدع الروائي في وصفه لمكان بيتهم الريفي بطريقة تبعث في نفس القارئ بالرّاحة حب الطبيعة .

وكلّما تذكّر "كريم" بيتهم الريفي استحضر صورة أمّه، فكلاهما يحملان نفس الصفات (الحب، الحنين، الدفئ، النقاء...):« فلما ظهرت له بدايات الجبال، التي كان سيمر بين فجاجها القطار، تذكر بيتهم الريفي ووجه أمّه ويدها المتصلّبة على يده نحو الغابة لتدخل به المدينة تحت دخان نار الحرب ذات شتاء مثلج ينهش بأنياب الجوع»[2]. إلا أن تذكّره للقهر الاستعماري وما فعله بأبناء وطنه وببيتهم، يجعله يسرع في الهروب من هذا الواقع المؤلم إلى واقع جديد.

ج/ المحطة:

تمثل المحطة مكانًا مفتوحًا للعبور والانتقال من مكان إلى مكان آخر لتغيير الأجواء وللبحث عن الراحة والاستقرار، والهروب من الخراب والدمار، وهي أيضا للسفر والتجول في أماكن جميلة للترفيه والعمل.

يحمل فضاء المحطة في "تماسخت" بعدًا نفسيًا ينتاب في وجدان البطل كلما ذهب إليها أو تذكّرها، فهيت فضاء للحسرة والشؤم والكآبة والضياع .« فإذا كان دخل محطتها الحديدية، ففغر عليه صمتها، تراءت له أشياؤها سحقها الضياع، كانت بمثل تلك الكآبة

---

[1] الحبيب السايح ، تماسخت ، ص 22-23.

[2] المصدر نفسه ، ص 39.

التي عبرت وجه أمه لما وقفت له في صحن حوشهم واجمة خائفة يفترس ملامحها قلق غائر»[1]؛ شبه البطل كآبته على منظر المحطة بكآبة وجه أمه يوم أراد الرحيل عن أرض الوطن. وهذا يدل على تعلق البطل بوطنه والولاء له وحبه مثل حب الأم.

يذكر الروائي في "تماسخت" المحطة حيث يقول:« في محطة تلمسان، أبطأ القطار عن الإقلاع. فأرجع كريم ذلك على أمر استثنائي كالخلل التقني أو تأخر القطار المعاكس، فأخرج رواية، ليصرف بها شيئا من قلقه، سرعان ما طواها وخبأها»[2]. باعتباره مثقفًا، فهو في خطر دائم من الاغتيال من قبل المسلحين لأنهم أكثر عرضة للقتل. يحب " كريم " المطالعة والقراءة والاطلاع على أخبار البلاد في الجرائد أينما كان:« فمارت في ذهنه عناوين قصاصات الجرائد المسفوحة أخبارا عن الموت والتدمير، لرؤيته عجوزا تصفح جريدة ثم غطس نظره في وسطها. فتذكر أنه نسي جريدته في قهوة ساحة المحطة»[3].

د/ القطـار:

هو« مكان انتقال ووسيلة للسفر»[4] الذي تَنقل فيها البطل هربا من مهنة الموت كما يصفها «... إلى مهنة الموت!...»[5]، وقد ورد ذكره في الرّواية عدة مرات فسح المجال أمام الشخصية لتذكّر الأحداث ووصفها بكل ارتياح « إذ دخل القطار، مدبرا

---

[1] الحبيب السايح ، تماسخت ، ص 07.

[2] المصدر نفسه ، ص 43.

[3] المصدر نفسه ، ص 28.

[4] نبيلة سالمي ، العجائبية في رواية تماسخت دم النسيان–لحبيب السايح– مخطوط مذكرة ماستر في الآداب واللغة العربية تخصص ادب حديث ومعاصر ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، كلية الآداب واللغات ، قسم الآداب واللغة العربية 2014م/2015م ،ص 56.

[5] المصدر السابق ، ص 05.

فانفكت مكابح التحفظ في أوصال المنظرين وداخل بعضهم بعضا وفتحت أبواب العربات، وجد كريم نفسه صاعدا بقوة دفعهم. فلطمته رائحة طروليات الجامعة. شعر بالقرف من نفسه ومن الركاب والشركة»[1].

ينقل لنا الروائي في هذا المقطع أول تجربة "لكريم" في رحلته بالقطار الذي شعر فيها بالقرف وذكّرته برائحة الطروليات الجامعة لما كان طالبا.

كما يصور لنا منظر مرور القطار بين الجبال بطريقة إبداعية تجلب انتباه القارئ «ولج القطار بين فكي الجبل، أحس كريم مرارة الانسحاب من معركة صابَر في ميدانها زملاؤه وغيرهم يخوضون نهايتها»[2]. وقد شعرته بالاختناق والخجل من نفسه لعدم مثابرته في وطنه مثل زملاؤه.

القطار في المدونة فضاء لاسترجاع الماضي فكل حادثة تحدث مع البطل يسترجع من خلالها حوادث ولحظات عاشها ورسخت في ذاكرته تحمل خوفًا أو قلقًا / ذكرى أو نسيان... يقول:« فقد صار كلما ركب قطارا أو رآه ثارت فيه بالذغر لحظات يوم عودته إلى وهران من مقر الجريدة الرئيسي في الجزائر إذ أوقفه مسلحون بعد خروجه من محطة مدينة الشلف»[3]. ويقول أيضا:« في قطار التاسعة الليلي، موغلا به في عمق ضياع أحق بخروف ضال، هيمنت عليه صور الموت والرعب الصائلة»[4] يصور مدى وحشية الليل في القطار استعاد من خلالها ما تختزنه ذاكرته من صور الرعب والفجائع.

---

[1] الحبيب السايح ، تماسخت ، ص 30.

[2] المصدر نفسه ، ص41.

[3] المصدر نفسه ، ص34.

[4] المصدر نفسه ، ص58.

يقول : « فإنه لم يكن في القطار الليلي سوى ما رمى به في حاضره المظلم بما خلفه وراءه من صور الفجائع...»[1]. محاولة " كريم" النسيان والمضي في حاضره.

هـ/ المطعم والمقهى والمحلات والنوادي:

هذه الأماكن هي أماكن مغلقة، يتزاور فيها الناس، ويقصدها للترفيه عن أنفسهم والالتقاء مع بعضهم، وهي أماكن مدينية تحضر في المدينة.

تحضر هذه الأماكن في الرواية تعبيرا عن التغيرات التي شهدتها البلاد من تدهور وفوضى يقول:«... ولكن هل تعلم أن المطعم الذي دعوت إليه وفاء أول مرة تحول محلا لبيع الكرنتيتة الشعبية؟ فبذرة الحماقة نبتت ثم عرّشت مأساة يوم حُولت، إلى محلات رخيصة للأكل في كل وقت سُميت الفصول الأربعة، تلك المكتباتُ والنوادي ومحلات الخياطة والحلاقة الراقية والزخرفة العربية والصناعة التقليدية وكل الحرف...»[2].

حيث فقدت هذه الأماكن زيّها القديم وأخذت زيًا جديدًا « تذكر خراب درب اليهود في مدينتهم، حيث كان دكان موسى لصياغة الذهب والفضة، وماخور غولدا التي لم تحول رفاتها غداة الاستقلال من المقبرة غير البعيدة عنه بعد أن تعرت من سورها وحانوت داوود لخياطة الجلاليب والعباءات الذي حُول إلى محل أكل في كل وقت، كما حولت قصابة سمير للحوم الحلال نقطة بيع للشراب المهرب من البيرة المتلفة...»[3].

---

[1] الحبيب السايح ، تماسخت ، ص66.

[2] المصدر نفسه ، ص21.

[3] المصدر نفسه ، ص118.

كما ذكرها أيضا بوصفها أماكن مشبوهة عند الإرهاب، لكثرة تجمع الناس فيها فتعيش حالة حصار. يقول:«... فإن الوحش، الذي يزرع هذا الرعب في القلب، ليس برأس واحدة! كالإنسان، يحضر في زمانك وفضائك من حيث لا تدري، مسلحا في زي شرطة أو درك أو جيش تجتذبه رائحة دمك، يصافحك وقد يقاسمك الطعام والشراب وفي زاوية ما شارع أو مقبرة أو داخل مقهى أو مطعم يكز أسنانه ليجتث من صدرك القلب...»[1] لقد اسودت صور هذه الأمكنة نظر البطل بعدما كانت في الماضي أمكنة جميلة تبعث الراحة والمحبة.

و/الجامعة:

تشكل الجامعة فضاء مغلقًا، وبؤرة للتعلم واكتساب المعرفة، وهي مجال ثقافي ويظهر هذا الفضاء أن البطل شخص مثقف وطالب جامعي أي يتميّز بدرجة أو مستوى ثقافي معين.

يحضر فضاء الجامعة في النص في صفحات قليلة جدا ساعدت البطل في التعبير عما يجول في كيانه من أفكار ليس أكثر مثل: « تحوّلت الجامعة إلى شبه ثكنة تضم طلبة لم يتجاوزوا فيها مستوى التلمذة»[2] يقول عن أثر الجامعة في شخصيته: «شعرت بعرْي رجولتي. إنها جزية أعوام الجامعة التي كانت خصْيا مقسّطا للفحولة»[3]. حيث شعر نفسه بأن الجامعة سلبت منه رجولته.

كلما نظر " كريم " إلى حاله وهو هارب، تساءل حول نفسه عن سبب إهمال نفسه عندما كان طالبا بالجامعة ولم يتمتع بالألبسة الراقية والتعطر... حيث شعر بندم

---

[1] الحبيب السايح ، تماسخت ، ص148-149.

[2] المصدر نفسه ، ص24.

[3] المصدر نفسه ، ص34.

عن عدم التمتع بحياته عندما كان يعيش بسلام « وعلى تذكار حاله السافرة للخيبة، تساءل كيف لم يقيّض له ربه، لما كان طالبا في جامعة وهران، أن يتمتع بألبسة راقية ويتعطر بسوائل ثمينة ويتلذذ بطيبات نادرة، بدل أوهام باهرة عن عرَق العمال الأسود...»[1].

1.2. مدينة الجزائر:

تمثل الجزائر وطن البطل وأرضه التي احتضنته منذ ولادته نشأ وترعرع بين أحضانها، إلا أن الوضع المُزري الذي تعيشه من قبل الإرهاب أدت بالبطل إلى الهروب والفرار طالبا حياة جديدة ومريحة، لكن ألم فراق الوطن صعب جدّا، لقيمته " فالوطن هو الأم " في حنانها ودفئها وخوفها على أطفالها فهو يمنحهم الشعور بالأمان والسكينة، إلاّ ان المحنة التي مرّت بها الجزائر جعلت البطل يتمنى أنه لم يولد فيه أو لم يولد في ذلك الزمان يقول: « ليت أني كنت بلا سمع ولا بصر أو جئت في زمان غير هذا العصر في بلد غير هذا الوطن، أو كنت ولدت قبل الطوفان أو بقيت جزيئا سابحا في الفضاء»[2].

إن شعور "كريم" بالخيبة والاغتراب دفعه إلى إلحاق سمة الجنون بوطنه لأنه لم يحم أبناءه يقول: « لكن هذه الجزائر مجنونة خالبة وسريالية! كلما أظهرنا لها عشقنا أفسحت إلينا نحو الموت على صدرها كأطفال ينامون! إنها قابعة هنا في ذاكرتنا، في عمق نسياننا. ضميري يترجرج لمجرد ذكر اسمها!»[3]. على الرغم من كل ما تعيشه إلا أنها ستظل في القلب والذاكرة.

---

[1] الحبيب السايح ، تماسخت ، ص63.

[2] المصدر نفسه ، ص 31.

[3] المصدر نفسه ، ص 184.

إذًا تحضر الجزائر في الرواية وطنًا وليس مدينة: « الجزائر ولدت من أجلنا»[1] ويصفها أيضا: « الجزائر بلد، له سحر خاص»[2].

كما ذكرت الجزائر من خلال مصادر الإعلام التي يتابعها "كريم" خارج البلاد يقول:« علمت من مصادر إعلامية في الجزائر أن مسئول أحد الأحزاب دعا إلى المقاومة المسلحة ضد الأصوليين»[3].

لقد سجّلت المدونة حضور مدن كثيرة لا يتسع المقام لذكرها وقد حضرت بعض المدن من خلال فعل التّذكر، ولم تكن مسرحًا للأحداث، وقد أدى حضورها دورًا في تكثيف دلالة النص وأثرى الأمكنة في الرواية، ومن هذه المدن نذكر:

1.3. **مدينة تلمسان:** يصف البطل تلمسان الشامخة بعمرانها بالعجوز المتعنفصة يقول: «مثلك لا أحب تلمسان المدينة العجوز المتعنفصة»[4]، فهو يعبر عن مشاعره اتجاهها.

1.4. **مدينة الشلف:** هي ذكرى في نفس البطل تعبر عن الفزع كلما تذكرها يقول:« ... إذ أوقفه مسلحون بعد خروجه من محطة مدينة الشلف، التي كانوا صعدوا إليه منها»[5].

1.5. **مدينة معسكر**: يصف معسكر، يقول:« معتّقات معسكر تعطي الروح شفافية كلما أظلم المسلك. كأسك»[6]، وفي موضع آخر يصف ذوق بيرة في بلده ولذة كل واحدة

---

[1] الحبيب السايح ، تماسخت ، ص 185.

[2] المصدر نفسه ، ص 207.

[3] المصدر نفسه ، ص 129.

[4] المصدر نفسه ، ص 14.

[5] المصدر نفسه ، ص34.

[6] المصدر نفسه ، ص 205.

بطعم جمال طبيعة مدينتها يقول: " مذاق بيرة نواس في وهران أشد مرارة. ولون نبيذ مرتفعات معسكر والمدية وتلمسان بلون دم الغزال، ما ألذه مزيجا من الحموضة والعذوبة"[1].

1.6. مدينة سعيدة: تمثل مدينة سعيدة المدينة الأصلية التي ولد فيها البطل وعلى الرغم من ذلك لم تحضر إلا في مقاطع قليلة. مثل: «ومقهى سعيدة وحده الغاص بمرتاديه»[2].

2. المدن الخارجية:

2.1. المدن العربية:

وتمثل مجمل المدن العربية التي ذكرها الروائي في عمله، والتي فرّ إليها البطل بحثا عن الأمن والطمأنينة التي حرّم منها في وطنه في زمن موحش بالإرهاب لا يعرف رحمة ولا يجف له جفن، كما ذكر أيضا مدن أخرى لا يتجاوز ذكرها بالاسم فقط.

إن الخوف من الاغتيال أدى بالبطل إلى الهروب من أرض الوطن إلى بلدين مجاورين للجزائر هما المغرب وتونس حيث أقام فيهما مدة معينة محاولا نسيان الماضي والبحث عن حياة جديدة، إلا أن مرارة الغربة وقسوتها لم تمنحه سوى حسرة وندم وذكريات مؤلمة لصور أمه وأصدقائه ومدينته. « أحس كريم أنه أشرق ببهاء وهو تلذذ جرعة أخرى من معتقات أقبية تيغنيف... وأن يصرخ في عمق الليل حتى يبدد من ذهنه صور الخوف واليأس المتراكمة بطول المسافة حتى الرباط ومنها إلى وهران فإلى الجزائر فتونس ومنها عودة إلى البدء»[3].

---

[1] الحبيب السايح ، تماسخت ، ص 208.

[2] المصدر نفسه ، ص 270.

[3] المصدر نفسه ، ص 51.

1/ المغرب:

عاش كريم على طول الرحلة قلقًا وريبة وخوفًا، مما قد يصيبه أو يعيق رحلته التي كانت له تمثل أملا كبيرًا في نجاته من "الموت الرخيص" كما يصفها الكاتب، ظلّ يراقب الطريق خطوة بخطوة إلى أن دخل في حدود المغرب، « ثم تقدّم يدخل في المغرب. إذ تناهت إليه طلقات رشاش مغداة توهّم...»[1]. بعد اختفاء صوت الطلقات أحسّ "كريم" بأن هذا وهم وليس حقيقة من فرحه وسعادته. وفي موضع آخر يصف لنا منظر غروب الشمس بين الحدودين بطريقة ابداعية، يقول:« كانت أشعة الشمس الغروبية تلامس أعالي المرتفعات الفاصلة بين أقصى الجزائر وأدنى المغرب»[2].

1.1. وجدة:

تحضر مدينة وجدة في "تماسخت" باعتبارها مقرًا رئيسيًا على الحدود المغربية الجزائرية، هي نهاية رحلة البطل من أرض الوطن ومحاولة النّسيان، وبداية لغربته وبؤسه.

يرصد لنا الروائي هذا الفضاء ليعبّر به عن لحظة وصول "كريم" إلى محطة وجدة ومحاولة التواصل مع صديقه لمساعدته واستقباله.« في محطة وجدة، هاتف كريم صديقه الضاوي في الرباط. ثم أذعن لمساومة السمسار على ستة آلاف دينار نظير ستمائة درهم، شاتما في سره ودفع الإكرامية للحصول على سرير خلال الرحلة إلى الرباط»[3].

---

[1] الحبيب السايح ، تماسخت ، ص 46.

[2] المصدر نفسه ، ص44.

[3] المصدر نفسه ، ص 58.

لم يركز الروائي على وصف مدينة وجدة، وإنّما حاول تقديم صورة للحالة النفسية التي انتابت "كريم" في القطار متجها إلى الرباط (مكان صديقه الضاوي). يقول:« بات كريم ليلته، بين وجدة والرباط، مشدود الوجدان إلى ماضيه القريب...»[1]. ويقول أيضا «كانت وجدة قد صارت إلى خلفه بمئات الكيلومترات»[2].

1.2. الرباط:

هي المدينة التي احتضنت البطل وحاولت علاج جروحه وراعت آلامه وهمومه جمعت كل تاريخ حياته بين أحضانها، لكن ثقل الواقع وقسوته والحنين إلى الوطن كانت دائما تلاحقه وتشعره بالاختناق.

اتخذ البطل مدينة الرباط ملجأ له، حيث يسكن صديقه الضاوي، الذي اتفق معه عبر الهاتف بأنه سوف يستقبله عند وصوله، فيصف لنا الروائي موقف "كريم" في المحطة منتظرًا صديقه وحيدا وانتابه الخوف من هاجس الغربة، يقول: «كما في وهران وقف كريم وحيدا في محطة الرباط منتظرا أن يظهر وجه الضاوي إلى أن خلا الرصيف فأحس ريح الغربة نفذت إلى قلبه»[3]، ويقول عنها في الأخير« نامت الرباط على غربتي»[4]، أي أن الرباط لم يحس فيها إلا بغربته.

شهدت الرباط حضورا بارزا في المدونة وذلك لكثرة وقوع الأحداث فيها ومكوث الشخصية فيها، فحضرت متألقة بشوارعها ومقاهيها وأسواقها وحاناتها التي كانت يقضي فيها " كريم " وقته ومن هذه الفضاءات:

---

[1] الحبيب السايح ، تماسخت ، ص 66.

[2] المصدر نفسه ، ص 81.

[3] المصدر نفسه ، ص 74.

[4] المصدر نفسه ، ص 270.

أ/ فندق السنترال:

هو فضاء مغلق وهو من الأماكن الحضارية التي تميّز المدينة عن الريف، يقصده الفرد للقضاء فيه عند السفر لمدة وجيزة، أو القيام بعمل طارئ، ويشمل الفندق على غرف عديدة .

ذكر الكاتب فندق السنترال الموجود بمدينة الرباط في مواضع قليلة فقط، باعتباره مكان إقامة البطل، حيث ساعده هذا الفضاء في الوصف الدقيق لوجود وحركة وتصرفات الشخصيات. يقول: « أمام فندق السنترال، استدار الضاوي إلى مقعد سيارته الخلفي وجذب من طرد مفتوح كتابا وقع عليه... ثم دخلا معا فحجز له الغرفة»[1]. وأيضا :« في منصف النهار، كانا صعدا أدراج عمارة غير بعيدة عن السنترال»[2].

وساعده الفضاء أيضا في تحديد موقع الالتقاء والتقابل. يقول:« كنا دخلنا مطعم الفندق لما قدم لها الخادم، انحناءة التشريف ناطقا لها كلمة أميرتي»[3].

كما أيضا يذكر لنا غرفة البطل في الفندق التي يقيم فيها وهو من الفضاءات الظاغطة على الشخصية عكس الخارج إذ « تنفذ كل شائعة من جدرانها، ويتعارض مع فضاء الخارج الذي قوامه التيه، والظلال في المتاهة»[4]، فهي تحمل هموم وذكريات أليمة للماضي الجميل الحزين، ويصف إرهاق وتعب "كريم" عند دخولها « وافترقا إلى غرفتيهما. فشعر كريم بارتخاء معمم طال جسمه فاستلقى دون أن يخلع شيئا وأغمض

---

[1] الحبيب السايح ، تماسخت ، ص 87.

[2] المصدر نفسه ، ص 91.

[3] المصدر نفسه ، ص123

[4] ينظر ، جنيت وآخرون ، الفضاء الروائي ، تر: عبد الرحيم حُزَل ، ردمك ، أفريقيا الشرق ، بيروت ، لبنان ، 2002، ص24.

فطرقت ذهنه وجوه لأمه وعمر وجميلة وآخرين نسيهم»[1]، فهي فضاء يعجّ بالذكريات والحنين إليها « ثم استلقى في السرير المقعر. استرجع صورة أمّه رآها في المنام تبحث عنه في ليلة محاق. كان قد ظلّ طريقه إلى آخر بيت سكنوه ووجد نفسه دخل بيتهم الأول فرأى برنوس أبيه اتّخذ لون صوف أغنامهم..»[2].

يقول :« كانت غرفة كريم الباردة الفارغة تضغطه بسأم أسود. فكر في أن ما يخرجه من زمنه الشقي هو أن يُجن»[3]. تمثل الغرفة مكان للمآسي والقلق وإحساسه فيها بعدم الراحة.

اتّخذ من الغرفة مكانًا للقراءة والمطالعة لكي يسرف عن نفسه تلك الذكريات الأليمة ومحاولة نسيانها « وفي غرفته، أعاد قراءة إهداء الضاوي. إنها النسخة الأولى التي تخرج من الرباط إلى قارئ من غير الرباط»[4].

ب/ باليما أو مقهى باليما :

هي مقهى مشهور بمدينة الرباط ومعلم من معالمها، هو موقع للمواعيد هو مكان مفتوح على الشارع وهي قلب الرباط، كان يتجمع فيها سياسيون ومثقفون ورياضيون وأجانب ومسرحيون ورجال الأعمال ونساء ورجال[5] مثلا: « ففي سقيفة باليما الكبيرة

---

(1) الحبيب السايح، تماسخت ، ص 92.

(2) المصدر نفسه ، ص 115.

(3) المصدر نفسه ، ص 103.

(4) المصدر نفسه ، ص 89.

(5) https://www.rassef22.com>life<

حيث انتشر هنا وهناك سياح أوروبيون مبتهجون...»[1]، وأيضا « فإن باليما أهم مكان في الرباط كلها للقاءات المثقفين والفنانين والصحافيين ومواعيدهم»[2].

تحضر باليما في "تماسخت" بشكل كبير جدا، حيث كانت موقع الالتقاء.« نلتقي بعد ساعة في باليما»[3]، وأيضا موقع التقابل « في المساء كما نزلا إلى باليما انظم إليهما شخص قدمه المكاوي»[4]. فهو المكان الذي تعرف فيه كريم على الأصدقاء منهم عبد الحق.

فهي مكان مزدحم لكثرة زوّاره، وتعمل حتى طلوع الفجر وهي في خدمة زبائنها فهي تشمل على مقهى وحانة ومطعم لسعتها « لو تدري! باليما التي تقابل البرلمان تتدفأ بالحطب وتسهر حتى الفجر»[5]. حيث أنها تقفل متأخرة وتفتح مبكرة من أجل زوارها، وفي قوله يصف أجواء باليما في الليل وبأصوات أنغامها العالية والصاخبة «فيما كان كازينو باليما بدأ يرسل صخب اللذة على ليل الرباط بأنغام الجوكي المكهربة»[6].

ج/الشوارع:

قدم الروائي بعض الشوارع من المدينة للتعبير بها عن الأماكن التي زارها "كريم" رفقة صديقه "الضاوي" فهي لم تأت لتصور أحداث وقعت وإنما لتعبر عن حركة الشخصية وعبورها للأماكن المقصودة، « ثم غاصا يدا في يد في شارع غاص فدخلا

---

[1] الحبيب السايح ، تماسخت ، ص 90.

[2] المصدر نفسه ، ص .102

[3] المصدر نفسه ، ص87.

[4] المصدر نفسه ، ص 92.

[5] المصدر نفسه ، ص 100.

[6] المصدر نفسه ، ص 125.

السويقة ...»[1]. يربط فضاء الشارع هنا بين فضائيين اثنين، ويقول أيضا: « في أحد شوارع الرباط، نحو السور القديم»[2].

كذلك حضرت الشوارع للتجول والتسكع « نزلا إلى ساحة السوق. شربا قهوة بالحليب وخبز مدلوك ثم تمشيا في أكثر من شارع بلا هدف ...»[3].

ثم يقول:« في شارع ما، من شوارع مركز الرباط، سار كريم والمكاوي متبادلين لدقائق صمت الإخفاء. قبل أن يتوقفا»[4]، إن اليأس والعجز في نفس البطل جعله يلجأ إلى التجول في الشوارع للترفيه عن نفسه.

كما ذكر أيضا شارع محمد الخامس ليحدد به المكان الذي التقى فيه المكاوي مع صديقه « كانا يعبران شارع محمد الخامس لآخر مساء لما انتصب أمامهما شخص ذو قامة فارغة ولحية كثيفة، كالذي تحرر من قمقم الزجاجة، بنظارات صغيرة. وفتح ذراعيه، متقدما نحو المكاوي»[5].

كما أيضا شهدت الرواية أماكن أخرى زارها "كريم" تتمثل في حانات ومطاعم وأسواق وغيرها نذكر منها:

د/الحانات: من الحانات التي قضى فيها "كريم" سهرته حانة تسمى "التراز" حيث دعاه إليها صديقه "عبد الحميد" وصفها البطل وصفا دقيقا يقول: « التراز مكان شعبي.

---

(1) الحبيب السايح ، تماسخت ، ص95.

(2) المصدر نفسه ، ص136.

(3) المصدر نفسه ، ص97.

(4) المصدر نفسه ، ص 128.

(5) المصدر نفسه ، ص139.

اختصاصه البيرة والمشوي حسب الطلب»[1]، ويقول أيضا: « كان المساء ربيعيا دافئا وكان التراز بأثاثه القديم وبأضواء سقيفته، التي جلسو فيها، يوحي بالحميمة والحنين وعلى الطاولة الخشبية نشر عبد الحميد اللوز والحمص والفستق و الكاوكاو»[2]، حيث أن "كريم" أعجبه المكان وأحس بالراحة فيه. فهي مكان للمواعيد والعلاقات الحميمية.

هـ/السوق: يصف لنا كريم هذا الفضاء الذي زاره بقوله : «فدخلا السويقة، بأضوائها ووحلها وروائح قليها وشوائها ومعروضات مهربيها وأيادي متسوليها، تحت أعين المخازنية وأعوان القوات المساعدة»[3].

جاءت الفضاءات المغلقة لتقريب الواقع التخييلي ولرسم الجانب التزييني بما فيه من تأثير بالغ على الشخصية.

2/ **تونس:**

تمثل تونس المكان االثاني الذي قصده البطل هروبًا من الواقع البائس، لكن بمرور الأيام والأشهر وجد "كريم" نفسه وحيدا فيها يقول:« واستيقظت تونس على وحدتي»[4].

تحضر المدينة موشحة بالتاريخ الزمني لماضي الشخصية، ولم يرد ذكرها إلا على لسان شعبها يقول: « تونس وحكومة متأهبة للدفاع عن وجودها وحدودها في حال استلاء الأصوليين على السلطة في الجزائر»[5]. وذكرت لمواساة "كريم" ومحاولة التخفيف عن ألمه وأن يعتبر تونس بلده الثاني وعدم شعوره بالغربة. «كيف خليت

---

[1] الحبيب السايح ، تماسخت ، ص 106.

[2] المصدر نفسه ، ص 106.

[3] المصدر نفسه ، ص 95.

[4] المصدر نفسه ، ص 270.

[5] المصدر نفسه ، ص 204.

الجزائر؟ حالكم تحزننا. ربي يستر لي باق مرحبا بيك في تونس، بلدك الثاني»[1]. وأيضا: « ابن الجزائر أو تونس، هل يهم»[2].

إذًا حضور تونس في الرواية كمكان انتقل إليه "كريم" فهي تمثل منفى للبطل فشعبها متحضر ومثقف وطيب وقد اهتموا "بكريم" واعتنوا به. إذ إن «المغرب مغرب واحد جرحا وحلما»[3].

2.1. القصبة:

هي أحد أهم نهج مدينة تونس العتيقة ويمتاز بتعرجات ويمر بعدد من معالم المدينة قصر الحكومة بالقصبة وجامع حمود باشا ويسكن العديد من الوزراء فيها وتكثر بهذا النهج المتاجر[4].

تحضر القصبة في "تماسخت" لتاريخ معالمها الحضارية ومكانتها، عند وصول "كريم" إلى تونس أخذه صديقه "كمال" لكي يطوف به في بعض أماكن العاصمة، وكانت أول وجهة هي "القصبة"، حيث وصفها لنا الروائي وصفا جميلا لسحر جمالها يقول: «فقد دخلا من باب البحر وغاصا في القصبة، مدينة تحت (لوطة)، كما يعبر التونسيون زاخرة برائحتها ولونها ونورها وفضائها. فهز كريم حنين لكل الضياعات»[5]. جمال هذه المدينة أثرت في نفس "كريم" حنين إلى وطنه، وتذكر قصبة الجزائر التي تشبهها المشبعة بالأثر الشعبي والحضاري. ويقول:« تحت الأسقف الواطئة يضيق الزنقات

---

(1) الحبيب السايح ، تماسخت ، ص 195.

(2) المصدر نفسه ، ص197.

(3) المصدر نفسه ، ص198.

(4) https://ar.m.wikipedia.org>wiki<

(5) المصدر السابق ، ص 195.

ومعابرها المتوهة»[1]، « مسالكها لا تفسح للتجول وللتجمهر أو حتى للتوقف إنها مدينة ضد مدينة»[2]. أعجب "كريم" بالقصبة واعتبرها وحدها مدينة لكثرة جمالها وتألّقها.

ليس للقصبة جمال داخلي باتساعها وإنما جمال خارجي، حيث وصفها وهي من الأعلى يقول :« خرج كمال بكريم إلى (فوق) فبدت المدينة لاهثة عابرة فوق القصبة لاهثة، على نزول مساء مغرٍ بأنواع اللذات بين انكسارات الأضواء في واجهات الشوارع هنا وهناك»[3].

أغرت "القصبة" "كريم" وأبهرته بجمالها، فأعطت له روح وأمل من جديد في تونس لأنّها تشبه قصبة الجزائر، فأحس نفسه بأنه في وطنه وبين أحضانه. فالقصبة في "تماسخت" دلالة نفسية وتاريخية في نفس البطل.

2.2. الشوارع:

ورد في المدونة ذكر العديد من الشوارع في مدينة تونس، فهي تمثل فضاء لحرية تحرك الشخصية التي حُرِّم منها في وطنه؛ بسبب الوضع المتدهور.

" شارع باريس" ساعد هذا الشارع الروائي في تحديد مقر إقامة البطل، ومكان التقاء " كريم " مع بنسالم الذي استقبله بطريقة محببة ومحترمة « في مقر الاتحاد بشارع باريس استقبل بنسالم كريم في لياقة تونسية محببة»[4]. وأيضا « خارج مقر الاتحاد، في شارع باريس...»[5] إذ إن هذا الشارع يدل على أنه مكان مهم وقريب من المحلات التي

---

[1] الحبيب السايح ، تماسخت ، ص 196.

[2] المصدر نفسه ، ص 196.

[3] المصدر نفسه ، ص 198.

[4] المصدر نفسه ، ص 198.

[5] المصدر نفسه ، ص 204.

التي ينتقل إليها " كريم " ويؤدي إلى أماكن أخرى فيه حركة غير خالي يؤدي « قطع بها شارع باريس يدا في يد راقصي الحركة، هو الرجل، هي المرأة ولا شيء غيرهما»[1].

"شارع الطاهر حشاد": يمثل بؤرة للحزن والندم التي هزت "كريم" عند تذكره صديقه "عبد الحميد" يقول:« وهو يمشي جنب كمال في شارع الطاهر حشاد، صامتين، هزّته نوبة حزن على أنه لم يكن ودع عبد الحميد»[2].

"شارع لافييت"، يحمل هذا الشارع لحظات رومانسية جمعته بابنة الجزائر " شهلة" التي تعرّف عليها في النادي، ومعها أحسّ بأنه ليس وحيدا في غربته « في شارع لافييت، بحث كريم عن أثر من عطر شهلة...»[3]. ويقول أيضا في تعبير عن خروج "كريم" لشراء بعض المستلزمات وفي عودته يمر بشوارع للوصول إلى مكان إقامته التي يسميها "بغربته المنسية" و وحدته الموحشة « من سوق لافييت، قضى من العشرين دينارا بعض مشتريات، ضمنها قنينة نبيذ. ودخل شارع باريس إلى شارع ديغول فنهج القديم حيث غربته المنسية»[4]. اتّخذ كريم النبيذ دواء لحزنه وبؤسه وضياعه وغربته.

كما وردت في الرواية أسماء مدن عربية كثيرة دون وصف أو حدث مثل: الخليج فلسطين، مصر، قطر، لبنان.

---

[1] الحبيب السايح ، تماسخت ، ص221.

[2] المصدر نفسه ، ص 205.

[3] المصدر نفسه ، ص 234.

[4] المصدر نفسه ، ص 244.

2.2.المدن الغربية:

ذكر السارد أسماء مدن غربية كثيرة في روايته، من دون وصف هندسي، ساعدت الروائي في تحقيق غرضه في التعبير عما يريد الوصول إليه مثل (الصين، اسبانيا مرسيليا، فرنسا، باريس، لندن، تطوان، أوروبا...)، وقد وردت تقريبا كتشبيه مسافة بين مكان ومكان، حيث زادت في جمالية النص.

إذن إن هذه الفضاءات لها جانب تزييني بما فيها من أشياء ومكونات تؤثر بالشخصية، فهي غنية بالدلالات والرموز المختزنة في ذاكرة البطل، وساعدت الكاتب في تعبيره عن مشاعره الداخلية في قالب فني إبداعي.

ثانيا/ جماليات الفضاء المديني في رواية "تماسخت"

1. المرأة/ المدينة:

ومن صورها ما جاء على لسان السارد: « مدينة لا تبرح مغرية مخادعة. حنونٌ ودافئة، مثل امرأة ثيّبٍ ثلاثينية العمر!»[1] فمدينة وهران تمتاز بجمال هندسيتها وسحر عمرانها الذي يجذب الناس، ورسم هذا الجمال بامرأة ثلاثينية العمر المغرية بجسدها وبداخلها حنان ودفئ، حيث أن زائر وهران يحسّ بالراحة والحب داخلها وبين ناسها.

ويقول أيضا: « وهران من هذا العلو، تبدو أنهكتها متاعب نهارها وساعات زنى ليلها. لكنها في الأحوال كلها تظل قلاّبة!»[2]. هنا شبه ليل وهران بالمرأة التي تشتغل

---

[1] الحبيب السايح ، تماسخت ، ص 06.

[2] المصدر نفسه ، ص 06.

بالبيت أو بالعمل وعند حلول الليل تجد نفسها منهكة ومتعبة لكن جمالها يبقى ساحر هكذا هي وهران بالنسب للبطل منهكة من الوضع الذي تعيشه لكنّها تظل قلاّبة وجميلة.

ويورد أيضا :« بصخر البحر صكّت أذنيها عن أي مراودة. ولبّست وجهها بطين سبختها. كم تخيلتُ ناسها أحجارا حصّنت بهم قلبها في وجه الصحراء الزاحفة !»[1]. حيث أن الروائي يصف مراودة الإرهاب لوهران ومحاولة تدميرها وتغييرها وغرس أفكارهم الخاطئة عن الدين في ذهن الشعب، إلا أن شعبها شعب صامد وواعٍ وظلّ صامتا، هنا شبه هذه المراودة بمراودة المرأة بالشوارع التي تصكّ أذنيها عن السمع، وكأن قلبها حجرا.

يقول :« نائمة الآن على عين كمحارب في خندق»[2]. هنا أعطى الروائي صفة النوم التي يتصف بها الكائن الحي و" نائمة " نسبة للمرأة ورمز به لهدوء وهران عند اختباء الناس خوفا من العدو.

يقول :« فتقرّب له كريم بوهران وتلطف له بأنها مثل امرأة خرافية في دفئها واحتضانها الغرباء...»[3]، هنا شبّه كريم حنان أهل وهران وتعاطفهم مع الغرباء واحتضان آلامهم ومواساتهم وإحساسهم بأنهم في بلدهم مثل المرأة في تعاملها مع الغرباء وتوهّمهم بحبها وحنانها.

لقد حفلت الرواية بتوظيف رمز المرأة معادلة للمدينة، تعبيرا منه على حال المدينة، ومهما اختلفت الطرق والوجهات حوله فإن استغلال رمز المرأة هو الأنسب لأنه

---

[1] الحبيب السايح، تماسخت ، ص 06.

[2] المصدر نفسه ، ص 06.

[3] المصدر نفسه ، ص209.

مميزا ويطبعها بطابع خاص وأيضا يحمل أسمى معاني الحياة، كما أنها تمثل المشاعر والأحاسيس الرقيقة.

2. المدينة/ الوطن:

الوطن هو المكان الأول والأصلي الذي يتجذر بالذات الإنسانية أو يرتبط بها ارتباطا قويا، هو البؤرة المركزية لكافة تفاصيل الحياة، هو النواة الخفية من علاقات الحميمية التي تربط بينه وبين أهله وتكون هذه العلاقات متينة[1]، تجعل الإنسان يحبه ويفرح لفرحه ويحزن على آلامه. يقول: « وأخرج للناس كتاب آيات سهام مكسورة في صدر وطن لمّا يزل ينزف... لكونهم ماتوا كالجيف من أجل قطعة أرض تسمى الوطن»[2].

يظهر رمز الوطن من خلال مدينة "وهران" التي حيث عبّر الكاتب بكل الأساليب والأحاسيس عن مدى حبه وعشقه وشوقه له، فهذا الشوق لا ينطبق على وهران فحسب إنما قصد به وطنه فهو الهوية التي تعبر عن كيانه وانتمائه يقول:«شعرت دائما أني تشكلت من بحرها. لم أجد في الجزائر مدينة مثل وهران تجعلني أحس أني جزء من كيانها»[3]، وضّح الكاتب هنا مدى تعلّق البطل بوطنه وبطبيعة الحال فإن المدينة جزء لا يتجزأ من البلد فلا يمكن فصل وهران عن الجزائر .

حيث نجده في هذا الصدد يعبر عن شوقه لوطنه وحبه له من خلال كأس نبيذ شربه« مذاق بيرة نواس في وهران أشد مرارة. ولون نبيذ مرتفعات معسكر والمدية

---

[1] ينظر، ابراهيم روماني، المدينة في الشعر العربي (الجزائر نموذجا1925-1962) ، ص205.

[2] الحبيب السايح ، تماسخت ، ص25.

[3] المصدر نفسه ، ص7.

وتلمسان بلون دم الغزالة، ما ألذه مزيجا من الحموضة والعذوبة؟»[1]، يحمل هذا المقطع عدة دلالات لكنها تصب في وعاء واحد وهي الشوق لأرض الوطن.

وفي مقاطع أخرى يكشف لنا البطل حبه لوطنه وكم هو حزين ومستاء منها يقول:« لكن هذه الجزائر مجنونة خالبة وسريالية! كلما أظهرنا لها عشقا أفسحت إلينا نحو الموت على صدرها...»[2]، ويعبّر أيضا عن قوّتها وشدّة صمودها وصبرها على المصائب يقول:«الجزائر وجدت من أجلنا. لن تركع! لن تسلّم لنهاية مظلمة...»[3] وأيضا:«البحر تلك هي الجزائر»[4]. هنا شبّه قوّتها بقوة البحر فإذا غضب وهاج سبب مصيبة كبيرة.

هكذا استخدم الكاتب مدينة وهران لدلالة على القوّة والعزيمة والصمود أمام الشدائد لنهايتها، كما أيضا اعتبرها رمز للوطن وأنه جزء من وطنه وأنه تشكّل من ترابه، كما أيضا جعل من المدينة رمز للآلام والحزن والشوق إلى الوطن الأم.

3. المدينة/ المنفى:

يتجسد المنفى في رواية " تماسخت " من خلال مدينة الرباط ومدينة تونس التي انتقل إليهما " كريم " خوفا من الاغتيال والقتل ببشاعة في وطنه من قبل الإرهاب يقول: «الموت بالمجان شيء بشع»[5]. إذ إن الوضع الصعب والمُزري الذي تعيشه البلاد هو ما جعل من البطل يختار الارتحال إلى أرض المنفى.

---

[1] الحبيب السايح ، تماسخت ، ص208.

[2] المصدر نفسه ، ص184.

[3] المصدر نفسه ، ص185.

[4] المصدر نفسه ، ص185.

[5] المصدر نفسه ، ص244.

إذ إن " كريم " اختار الرحيل رغبة في الحصول على حريته في مكان أليف ومريح «مطارد بسبب حلمه أن يكون حرا»[1]، ومحاولة نسيان وطنه وماضيه الأليم، من دون تردد أو رجوع، فقد رسم في ذاكرته صورة موته بعد اغتيال أصدقائه، ويسترجع هذه الصورة كلما خجل من هروبه وتخلى عن واجبه الوطني« لكن كريم تذكر أيضا أنه خلف وراءه ظلا لرأسه معلقا على جدار مصلى في حي مسكون بالشقاء والجنون»[2].

فمنذ وصول " كريم " إلى محطة وجدة راودته رائحة الغربة « كان يمكن للمغرب كله أن يعبر المحطة دون أن يظهر له وجه يعرف»[3]، حيث وجد نفسه وحيدا وغريبا لكن عند وصوله للرباط أين التقى صديقه، بعث فيه أملًا جديدًا للحياة كما تعرف على أصدقاء آخرين عن طريق صديقه، كان يقضي كل أوقاته معهم في التجول والشرب والأكل.

تلقى " كريم " الاهتمام والحب من أصدقائه في غربته، لكن حبه لتربة وطنه ودفئ عائلته ظلَّ يعيش في ذكرياته « أحن إلى أمن طفولتي هناك في سفح الجبل الموقوف باسم جدنا، إلى هدهدة حفيف غابته ينعشني ضوعها ...»[4]، لم يجد في الرباط مكانًا يحتضن آلامه وحزنه على خراب وطنه ومدينته والتي يرى نفسه أنه جزء منها« إني هي! أنا روحها. أنا وهران !»[5]، حتى غرفته لم تعطه الدفء الذي فقده في بيته وفي

---

(1) الحبيب السايح ، تماسخت ، ص 199.

(2) المصدر نفسه ، ص 62.

(3) المصدر نفسه ، ص 74.

(4) المصدر نفسه ، ص 22.

(5) المصدر نفسه ، ص49.

مدينته، وإنّما أشعرته ببرودة وسأم الغريب « كانت غرفة كريم الباردة الفارغة تضغطه بسأم أسود. فكر في أن ما يخرجه من زمنه الشقي هو أن يُجن. ما كفر ولا آمن»[1].

ظلّت صور القتل والاغتيال تلاحق " كريم " من مكان إلى مكان فلم يستطع نسيانها ولم يستطع أن يعود إلي وطنه، جعل من النبيذ دواء للتخفيف من آلامه ومن العلاقات الحميمية علاجا لجروحه، لكن كل هذا لم يمح أثر هذه المشاهد من ذاكرته ولا خفَّفَ ألمه، « خوفي وترددي وحبي الباقي لأرض أبويّ هو ما يمزقني فأنزف حنينا إلى طفولتي المسروقة»[2].

مع مرور الأيام تفاقم شعور الوحدة والغربة في نفس " كريم " والخوف من ماضيه يسلبه إلى الضياع، « فغصته حينها حال شعوره بالضياع في قوقعة الفراغ، مشوش الذهن عن ترتيب أولوياته القليلة»[3]. وخسر غرفته التي كان يقيم فيها، أحسّ بأن وجوده أصبح محرجا على من وفرها له، وقرر الانتقال إلى تونس متأملا بحياة جديدة وهربا من وطنه الذي سكنه الوحوش، يقول: « فإنه حاول، بلا قناعة، أن يخط حرفا واحدا عن رحيل المدينة إلى عرض مجهولها هربا من الوحش»[4]، ويقول أيضا « وولى وجهه شطر الشرق، طافح الروح برائحة الغربة»[5].

ظنّ " كريم " أن تونس سوف تمنحه ما فقده في مدينته لكنها أعطته خيبة ثانية فلم يجد في تونس إلاّ ذكرى وحنينا إلى وطنه وندما على كل الضياعات. فما أن زار

---

[1] الحبيب السايح ، تماسخت ، ص103.

[2] المصدر نفسه ، ص 135.

[3] المصدر نفسه ، ص 170.

[4] المصدر نفسه ، ص183.

[5] المصدر نفسه ، ص 192.

القصبة قابلته قصبة الجزائر، و لما سمع قرآنا عند رفع آذان المغرب، وصيحة العلوش استحضر رائحة عيد الأضحى، وعند مقابلته شهلة الشاعرة، ابنة الجزائر أثارت فيه لوعة ورغبة وحنينا لرائحة تربة وطنه التي تشبه رائحة عطرها. يقول :« أثارت في كريم كوامن رغبته، كاسحة فيه بصوتها العذب أيام غربته»[1]. وفي مقطع آخر « الآن يمكن للغربة أن توغل في قلبي. وجهك فاتن. قوامك أسيل. كوني فرحتي لساعة في قرطاج المفقودة»[2].

انتاب " كريم " الإحساس بالضجر والاختناق وقرر أن تكون نهايته في وطنه يقول:« الموت مقتولا على صدر الوطن أكرم من عافية بلا كرامة»[3]، ورأى أن مقر إقامته أصبحت مقر غربته، وأحس أن وجوده أسمى ثقيلا، « وراح يستجمع أشتات يأسه لابسا قناع وجهه الباسم»[4]، ويقول « لم تكن سماء ربي تشبه سماء غربتي»[5]، ويورد «كان آخر ما قرأه كريم على جدران تونس لافتة ساحة المنوبيين»[6].

وضع كريم حدا لمعاناته وغربته واستسلم للخوف من الموت الرخيص في بلده واتخذ من جنوب الصحراء ملجأ لكل ماضيه وأحزانه، حيث اختصر رحلته الفاشلة بحثا عن الحرية في بضع سطور

يقول:

---

[1] الحبيب السايح ، تماسخت ، ص 220.

[2] المصدر نفسه ، ص 224.

[3] المصدر نفسه ، ص 227.

[4] المصدر نفسه ، ص 236.

[5] المصدر نفسه ، ص 239.

[6] المصدر نفسه ، ص 264.

نامت الرباط عن غربتي

واستيقظت تونس على وحدتي

وإذ عدت نحو موتي فزعت وهران !»[1].

ويقول:

«في ذاكرتي صوت زرعني بين رقان وبين تماسخت نوحا لنشيج دم النسيان»[2].

وهي في مجملها عبارات تدل على حالة اليأس والقنوط التي آل إليها السارد وبطل الرواية.

وفي الأخير نلاحظ أن الكاتب أثناء حديثة عن جماليات فضاء المدينة ربطها بجدلية الزمن الماضي والحاضر؛ فزمن المدينة الماضي يمثل ذاكرة البطل، أما زمن المدينة الحاضر هو راهن المدينة المأساوي جراء العنف الإرهابي.

[1] الحبيب السايح ، تماسخت ، ص 270.

[2] المصدر نفسه ، ص 270.

خـاتمة

عالجت الرواية المختارة - مدونة البحث - واقعًا مظلمًا عاشه الوطن الجزائري في زمن العشرية السوداء، وسردت الأحداث على لسان البطل المثقف "كريم"، وصف في هذه الرواية مشاهد مُروِّعة من القتل والتعذيب وعبَّر عن الخوف من القتل بكل الألفاظ التي تحمل معاني الرعب والفزع، وأيضا طرح قضايا عديدة وأشكالا من المعاناة التي تواكب الفرد في وطنه أو في منفاه، حيث لعب المكان أو الفضاء دورًا كبيرًا وهامًا لأن الشخصية مرتحلة من فضاء إلى آخر غير مستقرة.

ومن النتائج التي خلص إليها البحث عن المدينة في رواية "تماسخت" يمكن لنا أن نذكر:

- لعب الفضاء المديني دورًا بارزًا في الرواية حيث أعطت للنص ميزة جمالية وأغنته دلاليا، فكانت المدينة ذات ملامح قاتمة ودلالاتها جارحة، فهي مكان للضياع والبؤس والحسرة والحنين إلى الماضي وإلى الوطن.

- تمثل المدينة منظومة هندسية حضارية، وهي مركز الصراعات والأحلام من أجل الحصول على السلطة والمكانة الاجتماعية، كما يكثر فيها الفساد وانتشار الآفات الاجتماعية.

- علاقة الرواية بالمدينة علاقة متلازمة ومتكاملة، حيث أن المدينة أغنت الرواية بالموضوعات وساعدتها على التطور.

- استطاع الروائي الحبيب السايح من خلال روايته "تماسخت" أن يرسم فضاء مدينة وهران بوقائعها الاجتماعية والسياسية، ورصد الأحداث من خلال الرجوع بالذاكرة إلى الوراء.

- ساعدت المدينة الروائي في التعبير عن مشاعره وأحاسيسه وآلامه، حيث كانت لفظة المدينة مشحونة بالشوق والحنين والحسرة والتّمرد، والرواية التي بين أيدينا تنطوي على دلالات متنوعة من بينها الدلالة النفسية والاجتماعية والتاريخية.

- وظّف الحبيب السايح المدينة بشكل فنّي راقٍ ومتميّز فكانت خَير معبرٍ عن ثقافة الروائي الواسعة وعمق تفكيره، وموقفه من بعض القضايا الاجتماعية والسياسية.

- تحضر المدن الجزائرية في الرواية بشوارعها وساحاتها ومقاهيها ومطاعمها الأمر الذي أعطى للسرد خصوصية ونكهة محلية.

وفي الأخير نرجو أن نكون وفقنا في إنجاز هذا البحث.

قائمة

المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.**

أولا: المصـــــــادر:

1. الحبيب السايح، رواية تماسخت.

ثانيا: المـــــــــراجع:

1. ابراهيم خليل، بنية النص الروائي، الدار العربية للعلوم، ناشرون، ط1، الجزائر، 2010.

2. إبراهيم روماني، المدينة في الشعر العربي –الجزائر نموذجا– (1925–1962)، دار هومة، ط2، بوزريعة، الجزائر،2001.

3. أسماء شاهين، جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت،2001.

4. باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2008.

5. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي "الفضاء، الزمن، الشخصية" ، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت، الدار الكبيرة، 1990.

6. حسن نجمي، شعرية الفضاء(المتخيل والهوية في الرواية العربية)، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب،2000.

7. حسين حمودة، الرواية والمدينة(نماذج من كتاب الستينيات في مصر)، الهيمة العامة لقصور الثقافة، 2000.

8. سالم المعوش، المدينة العربية بين عولمتين، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، لبنان،2006.

9. سيزا قاسم، بناء الرواية(دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(د.ط)، 1998.

10. شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، دار فارس للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 1994.

11. الشريف حبيلة ، الرواية والعنف دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2010.

12. صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، بسكرة، الجزائر، ط1، 2003.

13. عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية(الصورة والدلالة)، دار محمد علي للنشر،ط1، تونس،2003.

14. عبد القادر بوعرفة، المدينة والسياسة(دراسة في السياسة) لابن رشد، مركز الكتابة للنشر، ط1، القاهرة، 2006. 19. عبد الله رضوان، البنى الشعرية(دراسة تطبيقية في الشعر العربي)، دار البازوري، (د.ط)، عمان، الأردن 2000.

15. عبد الله حبيب التميمي، تحولات المدينة في الشعر العراقي الحديث،دار الرائي للدراسات والترجمة والنشر، ط1، دمشق، سورية.2010.

16. عبد الله رضوان، البنى الشعرية(دراسة تطبيقية في الشعر العربي)، دار البازوري، (د.ط)، عمان، الأردن 2000.

17. محبوبة محمدي محمد آباي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق، 2011.

18. محمد عاطف غيث، علم الاجتماع الحضري(مدخل نظري)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان، (د.ت).

19. مختار علي أبو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، (د.ط)، الكويت،1995.

20. مرشد أحمد، أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، دراسات التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، 2009.

21. مصطفى الكيلاني، الرواية والتأويل (سردية المعنى في الرواية العربية)، أزمنة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2009.

22. يمنى العيد، فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميّز الخطاب، دار الآداب، ط1، بيروت، 1998.

ثالثا: المراجع المترجمة:

1. جان إيف تاديه، الرواية في القرن العشرين، ترجمة محمد خير البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.

2. جنيت وآخرون، الفضاء الروائي ، ترجمة: عبد الرحيم حزل،ردمك، أفريقيا الشرق،بيروت ، لبنان،2002.

3. غاستون باشلار،جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدار والنشر والتوزيع، ط2، بيروت،1984.

رابعا: المعـــــــاجم:

1. بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون،(د.ط)، باب الميم، بيروت، لبنان،1987.

2. محمد مرتضي الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، دار النشر، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ج36، ط1، باب النون والهاء، الكويت، 2001.

3. معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ج1، من أول الهمزة إلى آخر الظاد، استانبول، تركيا،2004.

4. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مج13-14، طبعة جديدة محففة، بيروت، لبنان، 2008م.

خامسا: المجـــــلات:

1. داود محمد، المدينة في الرواية الجزائرية الفضاء القسنطيني في رواية الزلزال، إنسانيات، ع13.

2. ياسر عابدين، مفهوم الفضيلة في مصطلح المدينة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، سوريا، ع1، 2012.

سادسا: المقـــــالات:

1. سعد محمد رحيم، الرواية والمدينة، الحوار المتمدن، ع1236، 2005/04/14.

سابعا: الرسائل الجامعية:

1. جوادي هنية، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، مخطوط رساله لدكتوراه في: الآداب واللغة العربية، تخصص أدب جزائري، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية،2013.

2. رحمة شعبان، صورة المدينة في "رواية انكسار" لمحمد مفلاح، مخطوط مذكرة ماستر في الآداب، تخصص أدب حديث ومعاصر، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية،2015/2014.

3. سليم بتقة، الريف في الرواية الجزائرية(دراسة تحليلية مقارنة)، مخطوط رساله الدكتوراه في العلوم في الأدب الجزائري، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية العلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها،2010،2009.

4. مصطفى قطاف تمام، المدينة في روايات (أحلام مدينة)، مخطوط مذكرة ماستر في الآداب واللغة العربية، تخصص الأدب الحديث والمعاصر ، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية،2015.

5. نبيلة سالمي، العجائبية في رواية تماسخت دم النسيان– للحبيب السايح – مذكرة ماستر في الآداب واللغة العربية، تخصص أدب حديث ومعاصر ، جامعة محمد خيضر، بسكرة كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية،2015،2014.

ثامنا: المواقع الإلكترونيـة:

1. https://www.rassef22.com>life< في تاريخ:2018/06/06، على الساعة 22:14.

2. https://ar.m.wikipedia.org>wiki< في تاريخ:2018/06/06، على الساعة23:35.

فهرس

الموضوعات

فهـــــــرس الموضوعات

مقــدمة..... أ-ج

الفصل الأول: جدلية المدينة والرواية

أولا/ مفهوم المدينة.....07

أ. لغة.....07

ب. اصطلاحا.....09

*عند الغرب.....09

*في الأدب العربي.....12

ثانيا/ علاقة الرواية بالمدينة.....22

1. المدينة والرواية الغربية.....23

2. المدينة والرواية العربية.....26

3. المدينة والرواية الجزائرية.....29

الفصل الثاني: الفضاء المديني (الأبعاد والدلالات)

أولا/ تجليات الفضاء المدينة في رواية "تماسخت".....34.

1. المدن الداخلية.....35

1.1. وهـران.....36...

أ/ الشوارع.....38

ب/ البيت الريفي.....40

ج/ المحطة.....42

د/ القطار.....43

هـ/ المطعم والمقهى والمحلات والنوادي.....45

و/ الجامعة.....46

2.1. الجـزائر.....47

2. المدن الخارجية.....49

2.2. المدن العربية.....49

1/ المغرب.....50

1.1. وجــدة.....50

1.2. الربــاط.....51

أ/ فندق السنترال.....52

ب/ باليما أو مقهى باليما.....53

ج/ الشوارع.....54

د/ الحانات.....55

هـ/ السوق.....56

2/ تــونس.....56

2.1. القصبـة.....57

2.2. الشوارع.....58

2.2. المدن الغربية.....60

ثانيا/ جماليات الفضاء المدينة في رواية "تماسخت"

1. المرأة/ المدينة.....60

2. المدينة/ الوطن.....62

3. المدينة/ المنفى.....63

خـــاتمة.....69

قـائمة المصادر والمراجع.....72

فهـــرس.....78

الملخص:

تناول البحث دراسة موضوع "المدينة في رواية "تماسخت" للحبيب السايح" وحاول الوقوف عند نظرة الروائي الجزائري للمدينة باعتبارها شكلا حضاريا وموطنا ومأوى للإنسان، فهي تعكس صورة الواقع الإنساني المعاصر ، وقد أبدع الكاتب في إبراز قيمة المدينة مرتدية أزياء عديدة وأبعاد ودلالات جمالية أغنت النص الروائي وأكسبته قيمة فنية وفكرية.

ولما كانت المدينة فضاء مركبا أي هي مكان يحتوي نفسه ويحتوي مكانا آخر في داخله فقد تجسّدت صورتها الخارجية أي مظهرها الخارجي الهندسي وصورتها الداخلية من خلال شوارعها ومقاهيها ومحلاتها وساحاتها... وهي فضاءات التي تناولها البحث بالدراسة والتحليل للوصول إلى دلالاتها وجمالياتها.

Resumé:

Ce travail de recherche traite le thème de "la ville" dans l'œuvre de "Tmassikht" de l'écrivain "elHabib Sayeh", l'écrivain a essayé de prendre une vue sur l'avis des écrivains algériens d'expression arabe à propos de "la ville" qui se caractérise par une forme moderne et un refuge de l'être humain, elle reflète une image de la situation de l'homme moderne, l'écrivain elHabib a montré la valeur de la ville de plusieurs côtés, et par son esthétique a donné au texte une grande valeur à la forme et au fond.

La ville était un espace composé qui se forme d'elle et d'autre espaces, et son image esterne se reflète à travers ses rues, ses caféteries, ses boutique et ses cours, et ses endroits qui les a traité ce travaille recherche pour abeutir à ses dimensions et son esthétique.